مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 15
أكتوبر 2018



مذكرات رفاعي طه (7)

محمد إلهامي

نضال طالبان .. من أجل القلوب والعقول

حامد عبدالعظيم

ما لا تعرفه عن ثورة التحرير الجزائرية (2)

الصغير منير

مليونيات ومقاومة إدلب

كرم الحفيان

تحليل الشبكة الاجتماعية

م.أحمد مولانا

وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

الخامس عشر ، أكتوبر 2018




المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم



الافتتاحية.. مصانع الخيانة!

محمد إلهامي

روى الدكتور وليد سيف في مذكراته [1] أنه حين كان طالباً في لندن تعرف على عجوزٍ كان في شبابه جندياً بريطانياً خدم في فلسطين، يقول عنه: "صار بوسعه الآن بعد أن تحرر من التزامات الوظيفة أن يعبر عن تعاطفه مع الشعب الفلسطيني ويقر بدور بريطانيا في خلق نكباته ومآسيه... وإذ أجزم بصدق مشاعره في تلك اللحظات، فإني أجزم كذلك أنها ما كانت لتردعه أيام خدمته شاباً في فلسطين عن النهوض بواجبات وظيفته بإخلاص وإتقان، مهما تكن جائرة بحق الشعب الفلسطيني. فالإنجليزي يُحسن الفصل بين عواطفه ومواقفه الفردية الذاتية من جهة، وبين مقتضيات وظيفته مهما تكن متعارضة مع الأولى من جهة أخرى. فالإخلاص لدولته ولعمله فيها مُقَدَّم على أي اعتبار ذاتي.

---

[1] وهو لمن لم يعرف أفضل من كتب في الدراما التاريخية على الإطلاق، وهو قبل هذا أستاذ جامعي وأديب وشاعر ومفكر فلسطيني.

وحديث الضمير مؤجل إلى ما بعد إنجاز المهمة. وليس عليه أن يلوم نفسه فيما لا يدخل في نطاق إرادته ومسؤولياته وتخصصه. فسياسة الدولة وقرارات الحرب والسلم من عمل الزعماء والساسة. واحترام الاختصاص والتراتب الوظيفييْن من عقائد الدين المدني. وكل ذلك نتاج حداثة غربية اندمجت فيها مفاهيم العقلانية (أو الترشيد) بالبيروقراطية (ومعناها الأصلي: التجرد من الاعتبارات الشخصية وتحكيم اللوائح والنظم في العمل والإدارة. وذلك بخلاف ما آل إليه المعنى عندنا إذ يفيد التعقيدات الإدارية المفرطة)، والاحترافية، والتخصص الوظيفي المجتمعي. وبقدر ما أسهمت هذه المفاهيم مجتمعة في تقدم المجتمع الغربي وقوته، أسهمت كذلك في قسوته وجفوته ووحشته. فمطلب الكفاءة في الإنجاز يمكن أن يُضَحي أحياناً بالاعتبارات الإنسانية والأخلاقية التي تلابس المهمة" [٢] .

هكذا طوَّرت "الحضارة" الغربية نظاماً يمكن فيه للجندي أن يرتكب المذابح بكل وحشية (أو: بكل كفاءة) ثم إذا بلغ سنّ المعاش سمح لنفسه أن يتعاطف مع مَن ذبحهم بكل إخلاص (أو: بكل إنسانية)!!

***

هذه الصورة على بشاعتها وقبحها قد تبدو مفهومة في ميزان النظرة المادية المتجردة من كل اعتبار أخلاقي، لكن كيف يمكن أن يُقبل في أي ميزان أن يكون صاحب هذه المذابح رجل من أهل البلد نفسها، يعمل في خدمة المحتلين بكل وحشية (أو: بكل كفاءة؟!).. فلئن كان الإنجليزي يسمع ويطيع لحكومة هو انتخبها واختارها وهي تجعله في عافية ورفاهية وتؤمن له مستقبله ومستقبل أولاده، فما هي حجة وعذر من يفعلها من أبناء البلد المحتل؟!!

ما هي حجة فلسطيني يفعلها خدمة للإنجليز؟ أو جزائري خدمة للفرنسيين؟ أو مغربي خدمة للإسبان؟! وأيضاً: ما هي حجة أي إنسان يفعلها خدمة لنظام جاء بالقهر والعنف والدبابة ومن ورائه جاء برغبة النفوذ الأجنبي المهيمن على بلادنا؟ ثم ما هي حجة أي إنسان يفعلها وهذا النظام لا يُؤَمِّن له ولا لأبنائه طعاماً نظيفاً ولا تعليماً مفيداً ولا طباً صحيحاً ولا حياة طبيعية؟!

---

(٢) وليد سيف، الشاهد المشهود، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

أحسب أني أعرف الإجابة: لقد فعلها هؤلاء جميعاً لأن "الدولة" استطاعت صناعة عقيدة غرستها في النفوس.. لا يخلو الأمر من مكاسب يتمتع بها الخونة على سائر الناس لكن مجرد المكاسب لا تفسر وحدها هذا الإخلاص وتلك الوحشية (أو: الكفاءة) في خدمة النظام المحتل أو النظام المستبد.

لم يعد أولئك الذين يفعلون هذا يرون أنهم يخونون أو يظلمون، بل صاروا يحسبون أنهم يقومون بالواجب الوطني.. ومنهم من تفانى فيه حتى أهلك نفسه، وهو مقبل غير مدبر!!

***

هذه الصورة رواها د. خليل حسن خليل في مذكراته الروائية، وقد سُجِن في عهد عبد الناصر من بعد ما كان يعطي المحاضرات لعناصر الاتحاد الاشتراكي بل ومن بعد ما كان منتدباً للعمل في رئاسة الجمهورية، فسجل حواراً بينه وبين ضابط السجن الذي كان تلميذاً له من قبل، سأله:

- هل تشترك في تعذيب المعتقلين؟

بهت الضابط عند سماع السؤال. تردد في الإجابة. ثم قال بصوت لا انفعال فيه ولا حسرة:

- طبعاً!

-أنت؟! الإنسان الرقيق. التلميذ النجيب، ابن صديقي الحميم. لقد رباك أبوك تربية مهذبة طيبة.

- كل هذا اختفى أثناء تدريبنا في الكلية. ثم تلاشى تماماً حينما وضعوا النجمة على كتفي!



- هل لا يدمي ضميرك، هذا التعذيب البشع الذي تباشره على الإنسان؟

- وهل يتعذب ضمير عشماوي حين يقصف برقاب المحكوم عليهم بالإعدام؟

- عشماوي يعدم الذين قضت المحاكم بإعدامهم.

- الفرق ليس كبيراً!

- ألهذه الدرجة؟

- نحن ضباط، نأكل العيش والجاتوه من هذه الوظيفة، ونتيه بها على الخلق. ونؤمر بالتعذيب فنستجيب.

- أتنفذون أوامر التعذيب بالضبط، أم تضيفون إليه؟

- أنا أنفذ العلاج الذي يضعه القادة بالضبط. أعطي للمريض الجرعة والحقن دون زيادة أو نقصان.

-كم أنت عادل!

- أنا أؤدي واجبي.

- وزملاؤك؟

- لا شأن لي بهم.

- علمت أن بعضهم ينهش لحم المعتقل، ويمصمص نخاعه، وكأنه وحش يستمتع بالوليمة.

- لا أريد أن أتحدث عن غيري. إنما لأنك أستاذي، وكنت تعطيني دروساً خصوصية بالمنزل مجانية، بحكم صداقتك لوالدي، سأقول لك:

التعذيب يثير في الإنسان غريزة غريبة. فبعض المعذِّبين يتشفى في المعتقل وكأنه عدوه، وكلما ألهب ظهره أو نفخ أحشاءه، تملكته هذه الغريزة الحيوانية، واقترب من حرفة الجزارة! بفارق واحد، أن الخروف أو العجل يذبح ثم لا يحس بتقطيع أعضائه. وتبلغ الوحشية ذروتها، إذا بدت من المعتقل إشارة أو احتجاج أو تأفف. هناك يعتبر المعذب أنه أهين إهانة شخصية! لحقت بكرامته وعظمته وعظمة أسرته. فيتملكه سعار بربري، يصب أواره على المعتقل، وقد نفق كثير من المعتقلين بهذه الطريقة!

- أنت تستخدم كلمة "نفق"؟

- في مثل هذه البيئة يستوي الحمار والإنسان [1] .

***

خطر لي مرة وأنا أقرأ التحقيقات مع الثائر البطل أحمد عرابي أن أفتح ملفاً لأحفظ فيه أسماء الخونة الذين حققوا معه، فقد كانوا يبذلون في التحقيق جهداً واضحاً في المحاصرة والتضييق وانتزاع الأقوال! فما أكملت لحظة حتى عرفت أن المهمة ثقيلة والأسماء طويلة وكثيرة.

---

(١) د. خليل حسن خليل، الوارثون، ص٣٦٩، ٣٧٠.

لقد صار الظلم والخيانة مؤسسة وجهازاً ودولة، منذ عهد الطاغية الجبار محمد علي، حتى صارت وظائف كالشرطة والعسكر والقضاء والمخابرات والإعلام هي بنفسها معاقل لتفريخ وإنتاج وتصنيع الخيانة والعمالة للاحتلال الأجنبي والاستبداد الداخلي.. حتى إن النادر القليل منهم مَنْ لم يتلوث بالمشاركة في هذه الأوحال! وأندر منهم من استقال من تلك المؤسسات فنجا بنفسه، وأندر من كل هؤلاء من فكر في المقاومة والإصلاح.

ذلك أن هذه الدولة وهذه المؤسسات جعلت الخيانة والعمالة والتعذيب والتزوير والبشاعة مدرسة فكرية، وجهة نظر، فلسفة ومنهجاً، ديناً متبوعاً.. لقد أنتجت هذه الدولة ومؤسساتها عقيدتها التي جعلت كل هذا ينتقل من معنى الخيانة والعمالة والظلم إلى معنى الواجب الوطني والنظام والشرف!

نعم.. صارت مهمة ثقيلة طويلة أن نتتبع أسماء مَن قبضوا على الوطنيين ومَن حققوا معهم ومَن حاكموهم ومَن عذبوهم ومَن شوهوا صورتهم بالأشعار والأغاني والمقالات.. قائمة لا تكاد تحصى ولا تُحصر ولا تنتهي.

وإن بعض العزاء أن التاريخ يصحح سيرته بعد سنين طويلة، كما قد أبقى اسم عرابي علماً على الثورة والجهاد، وأبقى اسم الخديوي توفيق علماً على الخيانة والعمالة!

لقد أنشأ الاحتلال وما زرعه في بلادنا من أنظمة تابعة له، أنشأ أجيالاً تؤدي واجبها في حرب أبناء البلد دون هوادة، وبعض أولئك يقرأ الآن هذه السطور، لا بغرض التأمل في معانيها بل بغرض رصد وتحليل ما تحمله من أغراض ورسائل! ولقد ضرب الله مثلاً بكلماته وله المثل الأعلى فأخبرنا أن الآية نفسها يضل بها كثيراً ويهدي بها كثيراً، وأن القرآن ينزل على بعض الناس هداية ويزيد الآخرين كفراً وفجوراً. وما ذلك إلا لأن البعض نظر فيها يطلب منها الهداية والآخر نظر فيها يبحث عن مواضع الجدل ويلتمس النقص والعيب وإثارة الشبهات.

في لحظة كتابة هذه السطور تشن حرب محلية على أبسط مظاهر الدين، أغلقت السلطات في موريتانيا جمعية (تكوين العلماء) التي أنشأها الشيخ محمد الحسن ولد الددو، وهي جمعية تخرج من يتأصلون علمياً بحفظ القرآن والسنة ومتون العلم، وبعدها بساعات صدر قرار من الحكومة الليبية التي لم يستقر لها قرار ولا تملك توفير رواتب للناس بعدم استقبال طلاب الابتدائي لمدارس التعليم الديني، وقبل ذلك عصف محمد بن سلمان بسائر الأنشطة العلمية والدعوية في مساجد بلاد الحرمين.. وأنّى نظرت إلى بلد رأيت مثل هذا أو شيئاً منه.

هذه الغارات العنيفة يقوم بها مَن يقولون بأنهم مسلمون، تحت عنوان مكافحة الإرهاب والتطرف، هذا مع أن سائر هذه الأنشطة والمؤسسات تبتعد تماماً عن كل ما قد يثير حساسية الأنظمة والحكومات وأوليائهم، بل هي لم تنشأ أصلاً إلا بموافقات وتصاريح أمنية ولم تمارس عملها إلا برقابة وتشديدات أمنية أيضاً، أي أنها أبعد ما تكون عن هذه التهمة. وعندئذ لا يبقى لنا إلا تفسير من اثنين: إما أن هؤلاء القوم (تذكّرْ دائما أنهم منتسبون للإسلام) يرون القرآن نفسه كتاب تطرف وإرهاب، وأنه مادة يجب مطاردتها وملاحقة تدريسها وتحفيظها. أو أنهم لا يفكرون في هذا أصلاً وإنما يقومون بعملهم (بكفاءة) كما أُمِروا به، وطالما أنهم يقومون بوظيفتهم بكفاءة فلا معنى لأن يفكروا في شيء، ومن كان ينوي التفكير فليؤجله إلى لحظة سن المعاش كي يتعاطف مع من سجنهم وضربهم وآذاهم!

قبل أن ينشأ في بلادنا "صنم الدولة"، كان أهل العلم والفقه أصحاب مكانة وهيبة وتوقير، لا يجرؤ عليهم إلا من انخلع عامداً من الدين والأدب، ولا يتجاسر عليهم إلا مَن عرف مِن نفسه وعرف الناس منه السقوط والانحطاط.. أما وإذ جاء صنم الدولة وانتصب معبوداً فوق كل شيء، فلا ريب أن رغباته أوامر، وأن كل فرد في جهاز هذه الدولة إنما هو "عبد المأمور"!



إن أمام المجاهدين عملاً طويلاً ثقيلاً لكسر هذا الصنم، وإعادة المرجعية العليا لتكون لله ورسوله، والعلماء هم أوائل المسؤولين عن إرجاع حجم "الدولة" لتكون خاضعة لله ولرسوله ولشريعته، وعليهم بذل المجهود كله في إفهام الناس أن كل ما خالف الدين هدر لا قيمة له ولا كرامة ولا احترام ولو صدر من الدولة، ولو قرره برلمانها ولو طبل له إعلامها.

إن حقيقة الصراع في كونه صراعاً على السيادة، على المرجعية العليا، هل تكون لله أم لغير الله! وسيظل أهل العلم والدين والجهاد يتعرضون لإيذاء هذه الدولة مهما حاولوا الابتعاد عنها، فإنها تعرف أن عملهم في حقيقته هو تعظيم الدين ليكون مرجعية فوقها، ولتكون هي خاضعة له.. وهذا أمر لا يسمح به صاحب الباطل إلا مضطراً!

وهذا هو حقيقة التحرر والتحرير، وحقيقة الإخلاص والتوحيد.. أن يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، وألا يكون أحد من الناس عبداً لنظام أو ملك أو رئيس أو وظيفة، يضطر معها إلى إلغاء عقله وتجميد ضميره لتنفيذ الأوامر بكل كفاءة!! أو يضطر معها للإيمان بأفكار رؤسائه وابتلاع كلامهم كي لا يعيش تعذيب الضمير وإلغاء العقل إذ ينفذ أوامرهم بكل كفاءة!!

حقيقة التوحيد والتحرر ألا يصرف الإنسان طاعته إلا لله.. وإعادة غرس هذا في الناس مهمة عظيمة بعد تضخم أجيال آمنت "بالدولة" حتى حاربت في سبيلها أخلص أبنائها وصفوة عقولها.





لئن كان بعض العزاء أن التاريخ سيصحح مسيرته بعد تبدُّل القوى وتغيُّر الحال، إلا أن العزاء كله، وهذا هو ما يشفي الصدر حقاً، أن الحساب الأخير عند الله تعالى، الله الذي لا يغفل ولا ينام ولا تخفى عليه خافية ولا يفلت منه أحد ولا تغيب عنه هفوة.. فهذا هو العزاء حقاً.. وهذا هو شفاء الصدر حقاً.. وتلك هي الطمأنينة حقاً!

فسبحان الله.. الحق العدل المبين..

سبحان الذي قال:

{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ؟}

{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}

{ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ}

{ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}



ألا إنه لولا الله ولولا الدار الآخرة لكان نعيم هذه الدنيا في الانتحار والخروج منها.. فلله الحمد الذي جعل لعباده آخرة وحساباً وميزاناً دقيقاً، فلا يفلت منه عقوبته ظالم ولا من عدله ورحمته مظلوم.

مليونيات ومقاومة إدلب

روح وواقعية الثورة تنتفض حية

كرم الحفيان

مقدمة

سبع سنوات ونصف من التدمير الممنهج للكثير من المدن والقرى السورية على رؤوس أصحابها وثوارها، وقتل ما مجموعه مليون نفس، وتهجير ما يربو على نصف الشعب داخلياً وخارجياً، على يد أحد أكثر الأنظمة وحشية: النظام السوري.

هذا النظام كاد يسقط عسكرياً بهمّة الثوار بحلول سبتمبر ٢٠١٥ م (رغم استعانته بالأخطبوط الإقليمي ذي الطابع الطائفي: جمهورية إيران)، لولا أن العناية الروسية تداركته[1]

بسياسة الأرض المحروقة، التي سُلطت على الكثير من المناطق الثائرة، كالجزء المحرر من دمشق وغوطتيها، ومدينة حلب وأريافها الشمالية، وريف اللاذقية المحرر، فضلاً عن بعض المناطق في محافظات حماة وإدلب ودرعا وغيرها.



---

(١) انظر: الجزيرة نت، لافروف: دمشق كانت ستسقط لولا تدخلنا، ١٨ يناير ٢٠١٧ م.

: زمان الوصل، مراسل حربي للنظام: لولا روسيا لكنا لاجئين في ٢٠١٥، ١٨ سبتمبر ٢٠١٨ م.

يضاف إلى ما سبق عوامل أخرى داخلية كالاقتتالات البينية والحصار والهدن المناطقية المنفردة، وخارجية كتواطؤ المجتمع الدولي، وتراجع دور تركيا "ما بعد محاولة الانقلاب"، ناهيك عن توابع خطة خفض التصعيد في مسارأستانة.

هذه المعطيات مجتمعة أدت إلى قضم جميع الجيوب المحاصرة، وتنشيط النظام لضفادعه النائمة في المناطق الثائرة، للقيام بدورها الخطير في: بث روح الهزيمة واليأس في المجتمع الثوري بالتزامن مع: القصف الهولوكوستي للطيران الروسي، ومحاولة استدراج بعض القوى الثورية والأوساط الشعبية إلى فخ "التسويات والمصالحات"، كما حصل في درعا والغوطة والقلمون وريف حمص الشمالي.

بدأت الأنظار تتجه شطرالأراضي المحررة في الشمال السوري، في ظل حشد النظام عسكرياً وإعلامياً للمعركة الأخيرة والحاسمة بنظره، وكان تعويله في حسم المعركة (بعد الطيران الروسي والقوات الإيرانية) على: الضفادع وانهيارالإرادة الثورية عند الحاضنة الشعبية مع طول أمد الثورة وارتفاع تكلفتها البشرية، بيد أن الرد جاء منظماً ومفاجئاً للكثيرين.

فبدايةً، اجتمعت جميع الفصائل العسكرية في غرفة عمليات موحدة ووُزعت المحاور القتالية على امتداد الجغرافية المحررة التي تضم: محافظة إدلب بمدنها وقراها، وأرياف حلب الجنوبية والغربية، وقسم كبير من ريف حماة، إضافة إلى مجموعة من البلدات والتلال الإستراتيجية في ريف اللاذقية [٢] .

ثم بدأت أضخم حملة تحصين لخطوط التماس ونقاط الرباط، تحسباً للهجوم الشامل المتوقع من التحالف الروسي الإيراني النظامي، شارك في هذه الحملة الشاقة جموع من المدنيين المتطوعين بل وبعض كبار السن، وركزت على ما يعزز ثبات الثوار ويقلل الخسائر في صفوفهم كحفر شبكات من الأنفاق الجديدة، وشق أخاديد من الخنادق العميقة [٣] ، مما حدا بالبعض لوصف نقاط الرباط والمواجهة مع الأعداء بالقلاع والحصون [٤] .

(٢) انظر: عبد الله المحيسني، بشارة عن جيش الفتح لا يعرفها الكثير، الدقيقة ٤.

(٣) انظر: قناة الجسر الفضائية، الثوار يحصنون جبهات القتال مع النظام في ريف إدلب الشرقي.

(٤) انظر: عبد الله المحيسني، مصدر سابق.

ومما ساعد في إتمام هذه الخطوة بأفضل صورة ممكنة، هو وجود الآلاف من خيرة الثوارالمهجَّرين من شتى أنحاء سورية بعد رفضهم للاستسلام، والذين اكتسبوا خبرات استثنائية متعددة في: التكيف والقتال والتحصين المتقن بأبسط الإمكانيات والآليات، وفي أقصى الظروف من حصارخانق وشح في أبسط مقومات الثبات من غذاء ودواء وذخيرة. والجدير بالذكر أيضاً أن غالب فصائل الشمال أصبحت ذات كفاءة قتالية احترافية عالية ولديها فرق وألوية من القوات الخاصة.



ولأن تحصين الصف البشري الداخلي يظل هو الأصل والآكد من التحصين المادي الخارجي، شنت الفصائل الكبرى حملات أمنية مكثفة لكشف ومحاسبة أبرز الشخصيات التي تتواصل مع النظام وتروج للتسليم والمصالحة، وزجت بالعشرات منهم في السجون (٥) ، الأمرالذي أربك النظام وخلط حساباته.

من ناحية أخرى سياسية، اقتنعت سائر الجماعات الكبيرة التي كانت تتبرأ وتستهجن عقد أي تحالف وتنسيق سياسي وعسكري علني مع أي دولة خارجية (خاصة تركيا) وتعده انحرافاً عقدياً، أيقنت هذه الجماعات بالضرورة الواقعية (على الأقل) لتحالف كهذا في خضم هذه الحرب الطاحنة، وهذا الكم الهائل من أعداء الثورة الإقليميين والدوليين.

(٥) انظر: قناة الجسر الفضائية، اعتقالات في الشمال السوري ضد "ضفادع المصالحات"، هل تساهم في حماية المحرر.

وفي نفس السياق، أدركت بعض الجماعات الجهادية كهيئة تحريرالشام (جبهة النصرة سابقاً) خطورة الخطاب الجهادي المعولم الذي كانت تتبناه سابقاً، وعدّلته ليصبح خطاباً ثورياً محلياً، يؤكد على فك الارتباط التنظيمي بأي جهة خارجية.

ومع اقتراب ساعة الصفر لهجوم بريٍ شامل، كثّفت القوات الجوية الروسية ضرباتها وصبت حممها النارية الغزيرة على مناطق كثيرة في أرياف إدلب وحماة واللاذقية، تمهيداً لدخول القوات النظامية والطائفية. وكثر الحديث في الإعلام عن هجوم كيميائي وشيك على المناطق المحررة [٦] ، في حرب نفسية على الأهالي بغية دفعهم للتسليم.

ردة الفعل الشعبية لأربعة ملايين مواطن سوري كانت في غاية الثورية الواقعية، وتُرجمت في مظاهرات مليونية عمت ال ١٥.٠٠٠ كيلومتر مربع من الشمال المحرر (رغم احتمالية القصف الروسي) في مشهدٍ بدا وكأنّه صورة طبق الأصل من الحشود الشعبية الهائلة، والمتحمسة لإسقاط الأنظمة الطاغوتية الظالمة في بداية الثورات بال ٢٠١١ م.

وفي ظل المفاوضات الإقليمية والعالمية الجارية بخصوص مصير إدلب وما حولها، خرجت هذه التظاهرات الشعبية العارمة حاملةً عدة رسائل للداخل والخارج أبرزها:

أولاً: خيارنا المقاومة ولا استسلام للنظام وحلفائه مهما كانت النتائج [٧] .

ثانياً: دعم موقف الفصائل في استمرار قتال النظام والاحتلالين الروسي والإيراني.

ثالثاً: رفض أي حلول سياسية تقبل بها شريحة من المعارضة، وتتضمن كتابة دستور وإعادة إعمار قبل سقوط نظام بشار بكآفة أركانه ومؤسساته.

رابعاً: الترحيب بالوجود العسكري التركي في الشمال ورفع بعض الأعلام التركية.

هيمن اللون الأخضر لعلم الثورة الجامع لقلوب غالب الثوارعلى الفعاليات المليونية [٨] ، وغابت تماماً الأعلام الفصائلية والحزبية إلا في حالات نادرة، لا تكاد تذكر، إذ أصر بعض أنصار هيئة تحرير الشام على رفع راياتهم في بؤر معدودة، وبعضها في مظاهرات منفردة [٩] .

---

(٦) انظر: عنب بلدي، روسيا تروج لهجوم كيماوي على جشر الشغور بريف إدلب، ٢٥ أغسطس ٢٠١٨ م.

(٧) شبكة آرام، السوريون يحددون خيارهم في جمعة خيارنا المقاومة، ٧ سبتمبر ٢٠١٨ م.

(٨) انظر: مظاهرات حاشدة تعم الشمال السوري المحرر في جمعة "لا بديل عن إسقاط النظام"، ١٤ سبتمبر ٢٠١٨ م.

(٩) انظر: مظاهرات حاشدة في مدينة إدلب تحت شعار لا بديل عن إسقاط النظام، ١٤ سبتمبر ٢٠١٨ م.

لعلم الثورة مكانة خاصة في قلوب أبناء الثورة لعدة أسباب:

بدايةً: هو العلم الذي ارتضته جموع الثوار من البداية لتميزهم عن النظام ومؤيديه.

ثم: للخلفية التاريخية النابعة من اختيار الثوار السوريين له شعاراً في حرب الاستقلال ضد فرنسا في القرن الماضي.

وأيضاً: كونه يمثل المشروع الوطني النابع من الثورة والجامع لأهلها والمعبرعنهم، بعيداً عن أي رايات ترمز لمشاريع وافدة من الخارج وتجمع الأعداء.

وأوضحت المشاركة الواسعة للأهالي النازحين والمهجّرين من حمص وحماة ودمشق وحلب واللاذقية ودير الزور ومختلف المدن السورية، أن الثورة ما زالت قضية شعب ولم تنحصر في أهل الشمال دون الجنوب والشرق والغرب.



ونتيجة لهذا عادت للواجهة وبقوة الشعارات والأناشيد الأولى للثورة، التي تعبر بصورة ملحوظة عن: ثقافة الشعب "الإسلام العام" بعيداً عن التشنجات الحزبية والتعصبات المنهجية، وتدعو للمؤاخاة العملية بين أبناء المحافظات المختلفة وليس فقط الأخوة النظرية المجردة، وتركز على أهداف الثورة المرحلية من هدم السلطة المجرمة بتفكيك أجهزتها الأمنية ومؤسساتها العسكرية ونزع شرعيتها السياسية، وأضيف لها لاحقاً التحرر من الاحتلال الروسي والإيراني.

جميع الخطوات السابقة الحاملة لروح الثورة وواقعيتها سواءً على الصعيد العسكري أو الشعبي المدني أو الأداء الإعلامي، أربكت حسابات الجميع، وأكدت: هزالة النظام عسكرياً، إذ لم يستطع أن يحشد سوى ٢٥،٠٠٠ عسكري لاجتياح الشمال (الذي يجتمع فيه ما يقارب ال ١٠٠،٠٠٠ مجاهد ثائر) رغم أنها الجبهة الوحيدة الباقية له مع الثوار. كذلك فتحت المجال أمام التناقضات الدولية، وقوّت الموقف التركي الرافض لإعادة سيطرة النظام على الشمال المحرر.

فإن كان أهل الشمال والمهجّرين إليهم لن يقبلوا بالمصالحة والمكوث تحت سلطة النظام، فاستخدام سياسة الأرض المحروقة، مؤداها موجة جديدة من ملايين اللاجئين المدنيين، وهو ما لا تريده أوروبا ولا تتحمله تركيا.

أحجمت روسيا وتراجعت عن معركة إدلب بعد: رفض القوات الإيرانية المشاركة بالهجوم، وتعارض المصالح الغربية مع الحل السياسي الروسي إن نجحت في الحسم العسكري، وثبات الموقف التركي المعارض لأي إجتياح للشمال، وقبل كل هذا الثبات الثوري الشعبي، الذي لولاه ما كانت سائر المعطيات الأخرى لتحول دون سيطرة النظام بقوة الروس والإيرانيين على آخر معاقل الثورة.

خاتمة

" أحيت الروح الثورية التي شهدتها المليونيات الأخيرة بإدلب وما حولها في أغسطس وسبتمبر ٢٠١٨ م آمال الكثيرين في العالم الإسلامي بالتمسك بمسار الثورات والمقاومة، طريقاً وحيداً للخلاص مما ابتليت به الأمة الإسلامية من احتلال صريح ومقنّع، ومن هدر لحرية وكرامة أبنائها.

وأثبتت أنه ما زال هناك ملايين المسلمين الأحرار تبعثهم عزائمهم من تحت الركام، ليقفوا على أقدامهم من جديد، ويواصوا مقارعة الجبابرة والمحتلين حتى يفتح الله عليهم، وهم بالتأكيد يفضلون "نار" الثورة على "جنة" الذل والعبودية وضياع الدين والدنيا.

وأكدت كذلك على ضرورة التحلي بالواقعية المطلوبة، فلا حرق مراحل، ولا مشاريع منعزلة عن المحيط الثوري وأولوياته، وعن موازين القوى في العالم، ولا تماهي وركون مطلق إلى قوى عالمية، نعلم يقيناً كيدها الكُبار لأمتنا وثوراتها. "



ما لا تعرفه عن ثورة التحرير الجزائرية (٢)

الصغير منير

احتضان الشعب للثورة

كان الذين فجروا ثورة التحرير لا يتجاوز عددهم ألفاً ونيفاً، موزعين على كل مناطق الجزائر، مع كثافة عددية واضحة في منطقة الأوراس والشرق القسنطيني، لأسباب موضوعية وسياقات تاريخية ليس هذا مجال التفصيل فيها.

فاجأت الثورة النخبة من الأحزاب والجمعيات والأفراد، كما فاجأت الشعب الجزائري، وفاجأت قبلهما فرنسا التي كانت التقارير الأمنية لضباطها تشيد بالهدوء والاستقرار، وتستبعد أي فوضى أو اضطرابات.

لم يندفع الشعب الجزائري إلى مناصرة الثورة واحتضان المجاهدين بين عشية وضحاها، ولكن الأسباب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحركة الإصلاح الديني والتأطير والوعي السياسي والثوري، الذي أسست له وقادته الحركة الوطنية ممثلةً في حزب الشعب الجزائري، كانت كلها قد هيأت الشعب بنسب متفاوتة وبحسب المناطق أن يقبل فكرة الثورة في البداية، ثم يتعاطف مع المجاهدين، ثم يدفع بأبنائه إلى الجبال وأرض المعركة.

كانت قد نشأت على الأقل خمسة أجيال كاملة في ظل الاحتلال ولم تعرف غيره، وكانت الأجيال التي انتهى يأسها ونضالها وخبراتها ورصيدها الثوري إلى الجيل الذي فجر الثورة، تستبعد أن تخرج فرنسا يوماً ما من الجزائر؛ بل كان بعضهم لا يعرف إلا أن الفرنسيين هم أسياد الجزائر منذ القدم، وأحسنهم حالاً من كان يرى أي محاولة للثورة والتمرد إنما هي انتحار مباشر لا يجيزه شرع ولا عقل، هذا فضلاً عمن كان قد منح ولاءه وطاعته عن رضىً لفرنسا، وصار يفخر بخدمتها والوشاية ببني قومه والتنكيل بهم.



وقد كانت الأحــزاب السياسية المطالبة بالاندماج والحزب الشيوعي الجزائري في المدن والحواضر وخطاب بعض الطرق الصوفية ذات النفوذ والانتشار في القرى والأرياف والصحراء، سبباً آخر في إحجام الشعب وتردده لأشهر طويلة، كما كان عدم تصريح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بـأي خطاب أو هـدف ثـوري مسلح سبباً في تردد محبيها ومنسوبيها والمتأثرين بخطابها، رغم أنهم كانوا في الميدان من السباقين مقارنة بغيرهم وممن فصلوا أمر الانخراط في صفوف الثورة مبكرا، دون انتظار قرار أو توجيه مباشر من قيادة الجمعية أو فتوى من شيوخها في الداخل.

على أن تردد أبناء الشعب لم يطل كثيراً فقد كان وضوح البيان الثوري وحسمه وحزمه ومفاصلته لفرنسا قوياً ومؤثراً وحماسياً محفزاً، كما كانت العمليات العسكرية النوعية والاغتيالات والكمائن تجوب أخبارها الأسواق والمجامع، ويتغنى بها الشعراء الشعبيون ويتناقلها الرواة، ثم جاء عنف المحتل الفرنسي في القمع والانتقام الأعمى ليدفع بالجزائريين إلى أحضان الثورة زرافات ووحداناً.

ولقد كانت كلمة الشهيد العربي بن مهيدي: "ارموا بالثورة إلى الشارع وسوف يحتضنها الشعب"، صادقة ومبصرة وفعالة إلى أبعد الحدود؛ فقد انضم إلى الثورة وأصبح من قادتها في الأرياف والجبال والبوادي رجال مسلمون غير "مؤدلجين" -كما يقال في التعبير الشائع هذه الأيام- يعتبرون قتالهم جهاداً، وموتهم شهادة في سبيل الله، والغالبية المطلقة من هؤلاء لم تكن تعرف القتال قبل الثورة، ولا تملك سلاحاً إلا بنادق الصيد التي كان الجزائري يراها مفخرة حين تكون في بيته.

ومع ذلك انتصر هؤلاء وتعلموا فنون الحرب والتخطيط لها، وأساليب القيادة والكر والفر، وأنواع الأكمنة والتمويه، وأتقنوا التواصل بينهم بالطرق التقليدية والحديثة المتوفرة آنذاك، واستطاعوا هزيمة ضباط فرنسيين مدربين على أعلى مستوى ومدعومين تقنياً ويساندهم الحلف الأطلسي عدداً وعدة.

"لم تكن ثورة الجزائر ثورة نخبة أيديولوجية تحتقر الشعب، أو تُسعّر به نار الحرب من أجل أن تساوم وتفاوض بتضحياته على طاولات المفاوضات؛ فقد كان الشعب يراها ثورته، وشارك فيها الشباب والكهول والشيوخ والأطفال والنساء، والمتعلمون والأميون، والأثرياء والفقراء، وسكان المدن وأبناء البادية والريف."

ولا يكاد حتى يومنا هذا يخلو بيت أو أسرة من شهيد ما تزال ذكراه حية يفتخر بها الأبناء والأحفاد؛ بل هناك أسر وبيوتات قدمت عشرات من الشهداء والمجاهدين والأسرى والمفقودين.

لا شك أن الثورة على مستوى القيادة العليا بعد سنة ١٩٥٦ شابتها شوائب الاختراق والبحث عن الزعامة وأمجاد القيادة والسعي القاتل من أجل المناصب والمكاسب، ولكن المؤكد أيضاً أن الشعب البسيط كان بعيداً تماماً عما يحدث بين القيادات، ولا يسمع بها إلا نادراً جداً، ولا تؤثر خصوماتهم وعداواتهم فيما بينهم على زخم الثورة وعنفوانها.

الخونة والعملاء



إن انخراط الشعب الجزائري في الثورة ومئات الألاف من الجرحى والمعطوبين ومليوناً ونصفاً من الشهداء، لم يكن ليخفي ظاهرة الخيانة والعمالة التي انخرط فيها آلاف من الجزائريين.

❞ لم يكن هؤلاء الخونة والذين اصطلح الجزائريون إلى اليوم على تسميتهم الحَرْكَى والقُومِيــة [1] صنفاً واحــداً؛ فقــد كــان منهم من كان منخرطاً في خدمة فرنسا حتى قبل الثورة، واستمر على ذلك إلى ما بعد اندلاعها، وهؤلاء أكثرهم كانوا أصحاب نفوذ وجاه وامتيازات ومكاسب، من أغوات وباش أغوات وقِياد ومنتخبين في البرلمان أو رؤساء بلديات أو موظفين في الإدارة الفرنسية. ❝

وكان منهم ضعفاء النفوس وساقطو المروءة، من كان يرى هزيمة فرنسا ضرباً من المستحيل، وأن أمر القضاء على الثورة والثوار إنما هو قضية أشهر أو سنوات معدودات، واختار الاصطفاف مع القوي المتمكن الذي يرى انتصاره مضموناً.

وكان منهم من أكره تحت التعذيب والتهديد والابتزاز فضعف ولم يثبت، وكان منهم من كان سبب خيانته وانقلابه على عقبيه أخطاء الثوار في الأعراض أو الأموال أو الدماء، وما خالط تصرفات بعض قادتهم وجنودهم من ظلم وجور وعدوان، حفظ لنا التاريخ المدون والشفهي كثيراً من قصصه.

ومنهم من كان دافعه إلى ذلك حزازات وخصومات وعداوات بين القبائل والأعراش، فإذا انضم للثورة قبيلة ما، انضمت لفرنسا وتعاونت معها القبيلة التي تعاديها، ولقد كانت هذه العداوات نفسها من صنع الاحتلال يغذيها وينفخ فيها، ثم يستثمرها ويستغلها بما يخدم أهدافه في السلم والحرب.

---

(١) بالقاف المثلثة التي أصلها قاف، اشتقاقاً من القوم، وهم في عرف الجزائريين جماعة من الناس يمتطون ظهور الخيل "الخيالة".

لم يستفد هؤلاء الخونة شيئاً من فرنسا أكثر من وعود كاذبة أو امتيازات مادية تافهة أو محافظة على جاه أو منصب، ناله هذا الخائن أو ذاك قبل الثورة أو في بداياتها، ولقد قُتل من هؤلاء الخونة والعملاء آلاف مؤلفة، ولعلي لا أكون مبالغاً لو زعمت أن ما قتله المجاهدون منهم أكثر مما قتلوه من الجنود الفرنسيين، ولم أقرأ فيما قرأت عن دراسة إحصائية بهذا الشأن، ويكفي لتعرف عددهم أن مَن هاجر منهم إلى فرنسا بعد وقف إطلاق النار كانوا زهاء ١٥٠٠٠٠ خائناً وعميلاً، فإذا أضيف إليهم مثل هذا العدد على الأقل ممن بقوا في الجزائر وصفحت عنهم الثورة أو كانوا متخفين لا يعلم بهم الناس أو غيروا مواطن سكناهم، فإن العدد الإجمالي لا يقل عن ٥٠٠٠٠٠، وهو عدد كبير جداً إذا قارناه بعدد سكان الجزائر الذي لم يكن يتجاوز ١٠ ملايين.

"وبرغم كل ما سببه هؤلاء الخونة والعملاء من أذى وضرر بالمجاهدين والسكان في الأنفس والأعراض والأموال والمآوي، إلا أن نهايتهم كانت مخزية مذلة مهينة، وبقي اسمهم ووصفهم سبة عليهم وعلى أبنائهم وأسرهم، بل وعلى قبائلهم إلى يوم الناس هذا، ولم يمنع وجود هؤلاء مع الاحتلال أن ينتصر المجاهدون وأن تحقق الثورة أهدافها، وأن يبوء الخونة بالثبور والخزي."

على أن عدداً من العملاء من ذوي المستوى الدراسي المرتفع والمكانة الاجتماعية المتميزة قبل الثورة ومن الأثرياء وأصحاب الأملاك، هيئت لهم فرنسا ولأبنائهم سبلاً أخرى لاختراق الدولة الجديدة ومؤسساتها والتحكم في مفاصلها، إما بغفلة وسذاجة من قادة الثورة، واما بوقوعهم ضحية لخطط استخبارية فرنسية معقدة لم يكونوا قادرين على التفطن لها ومواجهتها، كما كان اضطرار قادة الجزائر المستقلة إلى وجود مثقفين وإداريين ووزراء ومسؤولين يتقنون اللغة الفرنسية ويمتلكون خبرة في الإدارة والتسيير مدخلاً للقبول بهؤلاء وغض الطرف عنهم، خاصة وأن هذه الطبقة منهم لم تتورط في عمل مسلح مباشر ضد الثورة والشعب، وإنما كان ولاؤها وتعاطفها مع فرنسا، وكانت تحتقر الشعب الجزائري وتستعلي عليه، وتتصرف أثناء الثورة كأن المجاهدين لصوص وقطاع طرق، بينما كان الرعاع والسفلة منهم يقومون بالوشاية والتجسس والتسلط على بني جلدتهم بالأذى والبطش ونصب الكمائن للمجاهدين في مناطقهم.



أما العسكريون من الجزائر في الجيش الفرنسي، فقد استطاع الاحتلال أن يسرب عدداً منهم إلى صفوف المجاهدين في السنوات الثلاث الأخيرة من الثورة؛ ليتدرج أكثرهم في خبث ومكر وتخطيط ويصل إلى مناصب قيادية عسكرية ومدنية وأمنية عُليا بعد الاستقلال، وكان من بين هؤلاء الجنرالات خالد نزار ومحمد العماري قنايزيه وغزيّل والعربي بلخير، وغيرهم ممن قادوا وخططوا وأشرفوا على انقلاب **١٩٩٢** بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

لم تكن أبداً الخيانة والعمالة تشكل خطراً وجودياً على الثورة الجزائرية وغيرها من الثورات وحركات التغيير، بقدر ما كانت سذاجة وطيبة وغفلة قيادة الثورة هي الخطر الوجودي والثغرة القاتلة، وبقدر ما كانت حاجة الثورة للطاقات والكفاءات مدخلاً لطالما تسلل منه الخونة والعملاء.

وللحديث بقية..



تحليل الشبكة الاجتماعية

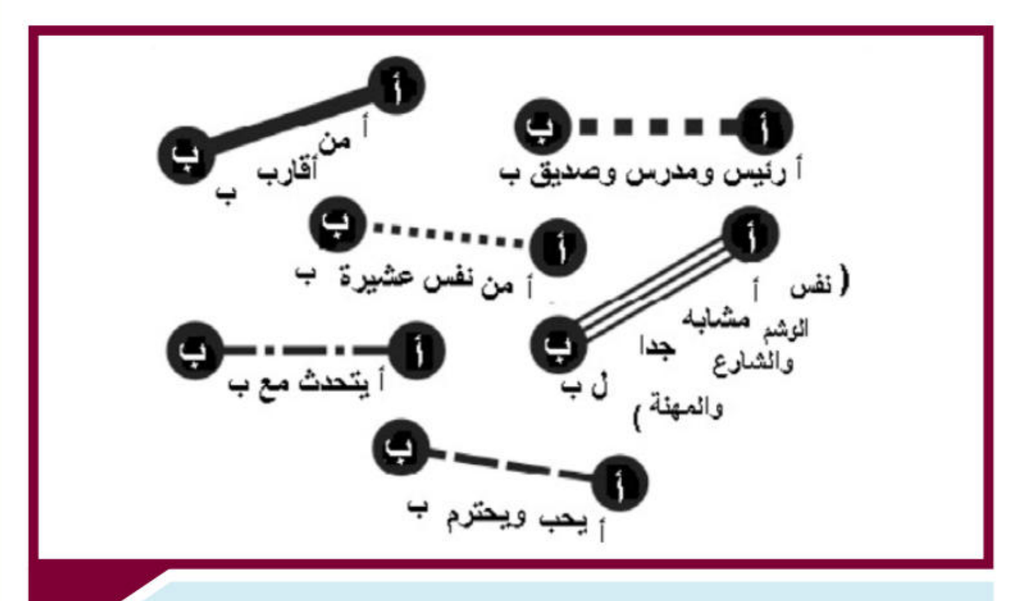
رغم أن أميركا تعد أقوى دولة على مستوى العالم حالياً، إلا أنها تعتمد في التعامل مع الآخرين على تفهمهم جيداً، قبل أن تحدد الأسلوب الأمثل للتعامل معهم بالأسلوب الذي يتسق مع أهدافها ومصالحها.

وفي سياق ما يسمى بمكافحة الإرهاب، يبرز تحليل الشبكة الاجتماعية كأحد أدوات التحليل التي تساعد أميركا على تقييم التهديد الذي تتعرض له من قِبل خصومها غير النظاميين، فهو يسمح للمحللين بتحديد وتصوير تفاصيل هيكل شبكة التمرد بما يوضح أسلوب عملها، وكيف يمكن أو لا يمكن لأعضائها التصرف بشكل مستقل، وأين تكمن قيادتهم أو كيف تتوزع القيادة بين الأعضاء. وسأستعرض أبرز معالم هذه الأداة التحليلية وفقاً لأدبيات وتعبيرات الجيش الأميركي المدونة في دليله الميداني لمكافحة التمرد.

التمرد كشبكة اجتماعية

ينظر الجيش الأميركي إلى المتمردين باعتبارهم شبكة اجتماعية، ولا يُقصد بالشبكة الاجتماعية أنها مجرد وصف لعناصر المنظمة المتمردة، إنما هي صورة للسكان، وكيفية تجمعهم، وتعاملهم معاً. فمثلاً أي مجتمع قبلي يمتلك بالفعل شبكات اجتماعية واقتصادية وعسكرية تابعة له تتكيف بسهولة مع أجواء الحرب. والطرق التي يستغل بها المتمردون أي شبكة قبلية لا تمثل شكلاً مطوراً من التمرد ولكنها تمثل تعبيراً عن الأعراف الثقافية والاجتماعية المتأصلة في المجتمع. فالشبكة القبلية التقليدية توفر للثوار والمتمردين بنية تحتية ثورية جاهزة يستلوا منها.

ويمثل الرسم البياني للشبكة الاجتماعية حجر الأساس لتحليلها. ويتكون أي رسم بياني للشبكة الاجتماعية من الأفراد والصلات بينهم. ويطلق على الأفراد في الشبكة مصطلح "الفاعلون أو العُقد". ويطلق على الصلات الموجودة بين العقد اسم الروابط. والعنصر الأساسي لبيان الشبكة الاجتماعية هو الزوج. ويتكون أي زوج من عقدتين ورابط واحد بينهما. وفي أبسط صور الشبكات، تمثل العقدتان أشخاصاً ويمثل الرابط العلاقة بينهما.



نموذج مبسط للشبكة الاجتماعية

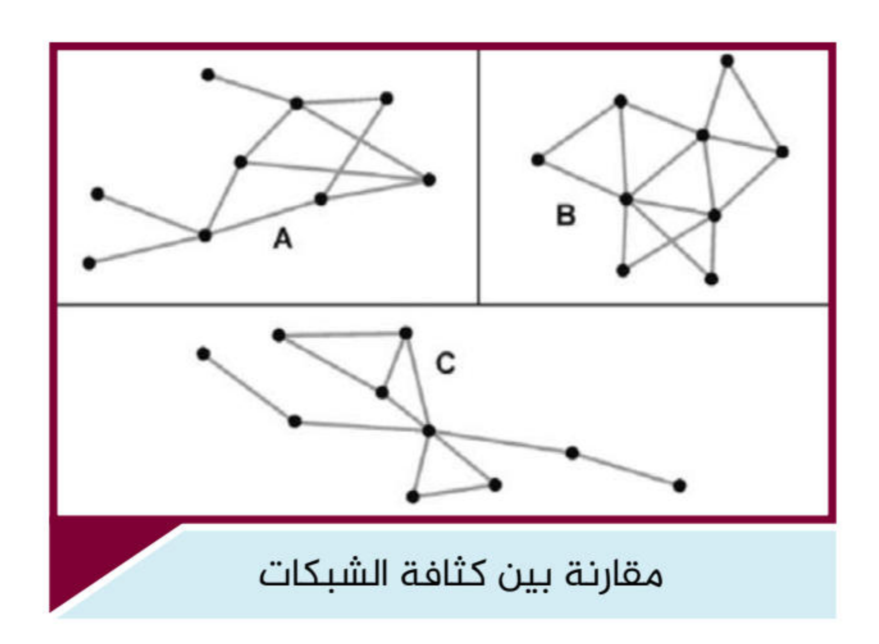
مستويات تحليل الشبكة الاجتماعية

تتضمن مستويات تحليل الشبكة الاجتماعية مستويين، هما المستوى التنظيمي والمستوى الفردي.

(أ) تحليل الشبكة الاجتماعية على المستوى التنظيمي

يوفر تحليل المستوى التنظيمي تبصراً عن شكل المنظمة المتمردة، وكفاءتها، وتماسكها. فقد يتكون التمرد الإقليمي من عدد كبير من المنظمات المتمردة التي لا يربط بينها رابط. ونتيجة لذلك يجب تحليل كل مجموعة وفقاً لقدراتها مقارنة بالمجموعات الأخرى. ويمكن وصف القدرات على المستوى التنظيمي من حيث كثافة الشبكة، وتماسكها، وكفاءتها، وعلاقة القلب بالأطراف. ويصف كل قياس سمة من سمات هيكل المنظمة الشبكية. ويمكن أن تدعم الهياكل الشبكية المختلفة قدرات المنظمة أو تعوقها.

والكثافة الشبكية هي نسبة الروابط في الشبكة بالنسبة للعدد الكلي الممكن. ومقارنة الكثافة الشبكية بين المجموعات الفرعية للمتمردين توفر للقادة مؤشراً على أي المجموعات أقدر على تنفيذ هجوم منسق وأي المجموعات هي الأصعب في التعطيل.(الشكل التالي يبين ثلاث شبكات لها كثافات مختلفة).



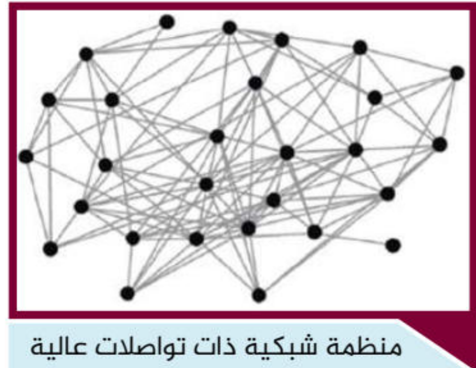
مقارنة بين كثافة الشبكات

تشير الزيادة في كثافة الشبكة إلى احتمال تنفيذ المجموعة المتمردة لهجمات منسقة. ويعني أي انخفاض في كثافة الشبكة أن المجموعة قد تراجعت إلي مستوى الهجمات المجزئة أو الفردية. وفي نهاية المطاف تواجه عملية مكافحة تمرد التي يجري تنفيذها على نحو جيد المجموعات الفرعية ذات الكثافة الشبكية المنخفضة. وهذا لأن المجموعات الفرعية ذات الكثافة الشبكية المرتفعة لا تحتاج سوى القبض على متمرد واحد له صلات كثيرة ليتم إلقاء القبض على بقية المجموعة. ولهذا فعلى الرغم من أن المجموعات ذات الكثافة الشبكية العالية هي الأكثر خطورة، فإنها كذلك هي الأسهل هزيمة وتمزيقاً.

ولا تتعلق كثافة الشبكة بطريقة توزيع الاتصالات بين عقد الشبكة.. إذ يمكن لعدد قليل من العقد مع عدد كبير من الاتصالات أن يرفع كثافة شبكة المجموعة، حتى ولو كانت أغلبية عقد الأشخاص ترتبط بالمجموعة بشكل هامشي. وفي حالة الشبكة ذات المركزية العالية، والتي تسيطر عليها عقدة واحدة أو عدد قليل جداً من العقد المتصلة، فانه يمكن إزالة هذه العقد أو إتلافها لزيادة تجزئة المجموعة إلى مجموعات فرعية.

(ب) تحليل الشبكة الاجتماعية على المستوى الفردي

يميز التحليل على المستوى الفردي سمات كل عضو في المنظمة ويحدد أعضائها الرئيسيين. والتحليل الفعال للشبكة الاجتماعية يسمح للمحللين بتحديد الأفراد المهمين من بين كتلة كبيرة من البيانات. فيصف الأفراد استناداً إلى موقعهم بالنسبة لموضع كل فرد آخر في الشبكة. وتوفر المركزية الفردية للشبكة نظرة ثاقبة لموقع كل فرد في الشبكة. ويمكن أن تكشف العلاقة بين مركزيات جميع العقد الكثير عن الهيكل العام للشبكة.



منظمة شبكية ذات تواصلات عالية



شبكة مفتتة

وتسيطر عقدة واحدة أو عدد قليل جدا من العقد المركزية على أي شبكة ذات مركزية عالية. فإذا تم التخلص من هذه العقد أو إتلافها، فقد تتفتت الشبكة بسرعة إلى شبكات فرعية غير متصلة. والمحاور هي عقد ذات درجة عالية جداً من المركزية. وأي شبكة متمركزة حول محور متصل جيداً يمكن أن تنهار فجأة إذا تم تعطيل هذا المحور أو إزالته.

ولا تملك الشبكة الأقل مركزية نقاط فشل واحدة. إذ تكون هذه الشبكة مرنة في مواجهة العديد من الهجمات المتعمدة أو الانهيارات العشوائية. ومن الممكن أن تنهار العديد من العقد أو الروابط بينما يُتاح للعقد المتبقية الوصول بعضها إلى بعض عبر مسارات شبكية أخرى. كما تصف مركزية الدرجة مدى نشاط الفرد في الشبكة. ويُقاس النشاط الشبكي لأي عقدة باستخدام مفهوم الدرجات، أي عدد الصلات المباشرة التي تمتلكها العقدة. فالعقد التي تمتلك أكثر الاتصالات مباشرة هي الأنشط في شبكاتها. وإذا كانت إحدى العقد تمتلك روابط كثيرة، فيقال غالباً أنها إما بارزة أو ذات نفوذ.

وتشير المركزية البينية إلى موقع الفرد بين الأفراد الآخرين في الشبكة، ومدى قيامه بدور الوسيط أو المُتصِل أو الجسر. فأي عقدة ذات "بينية" عالية يكون لها تأثير كبير على التدفقات في الشبكة. واعتماداً على المكانة، فإن أي شخص ذو بينية عالية يلعب دور "الوسيط" في الشبكة. وتوجد فرصة كبيرة أمام قوات مكافحة التمرد إذا كان الشخص صاحب الدرجة العالية من المركزية البينية يمثل أيضاً أحد نقاط الانهيار التي إذا جري التخلص منها تتفتت المنظمة.

وتحصل العقد الموجودة عند الأطراف على درجات مركزية منخفضة جداً. ومع ذلك، فالعقد الطرفية غالباً ما تكون متصلة بشبكات لم تتضح خريطتها بعد. وقد تتكون تلك العقد من جامعي الموارد أو أفراد لهم شبكاتهم الخاصة بعيداً عن إطار مجموعتهم المتمردة. وهذه الخصائص تجعل تلك العقد تمثل موارد مهمة للغاية للحصول على معلومات جديدة غير متوافرة داخل مجموعتهم المتمردة.



لرسم صورة دقيقة للشبكة، يحتاج المحللون لتحديد الروابط بين أعضائها، وتتسم هذه الروابط بالصلات القوية التي تكونت بمرور الوقت بسبب الارتباط العائلي أو الصداقة أو الانتماء لنفس التنظيم. وتُجمع المعلومات عن هذه الروابط عبر تحليل الوثائق، والسجلات التاريخية، ومقابلة الأفراد، ودراسة الصور الفوتوغرافية والكتب.

وهو عمل مضن، لكن لا يوجد بديل له عند محاولة تتبع شبكة لا تريد لأحد أن يتعرف عليها. فغالباً لا تتصرف الشبكات المتمردة مثل الشبكات الاجتماعية العادية. ومع ذلك، فمن الممكن أن يساعد تحليل الشبكة الاجتماعية المحللين على تحديد نوع الشبكة الاجتماعية للمنظمة المتمردة. وهذه المعرفة تساعد القادة في فهم شكل المنظمة، وكيفية ترابط أجزائها معاً، وأفضل طريقة لهزيمتها.

هذا الاستعراض السابق والموجز لاستخدام الشبكة الاجتماعية كأداة تحليلية يكاد يكون غائباً لدى الكثير من الحركات الثورية والإسلامية، مما يجعلها تبدد الكثير من جهودها أثناء صراعاتها مع الأعداء، بينما تتلقى باستمرار ضربات في منتصف الرأس من قبل خصومها الذين لا يعتمدون في ممارساتهم على العشوائية سواء في الفهم أو العمل.

ترجمة
مركز
حازم

الحرب الشعبية الممتدة

الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد

- يفضل المتمردون النزاعات الطويلة، ولا يمكن القول بأن هناك أي مقاربة تعمل على استغلال عدم التماثل أفضل من الحرب الشعبية الممتدة. وقد استخدم الشيوعيون الصينيون هذه المقاربة في هزيمة الحكومة الصينية بعد الحرب العالمية الثانية. واستخدمها الفيتناميون الشماليون والجزائريون عقب تعديلها بحيث تلائم واقعهم وظروفهم الخاصة. وقد اقترح بعض قادة تنظيم القاعدة استخدامها في كتاباتهم مؤخراً. وهذه المقاربة تتسم بالتعقيد، ويطبق برنامجها بشكل كامل عدد قليل من حركات التمرد المعاصرة، بينما يطبق الكثيرون أجزاء منه. لذا فعدا عن كونها شأن تاريخي، فالإلمام بها قد تمثل أداة مساعدة قوية تعين على فهم بعض التمردات.

نظرية ماو تسي تونج عن الحرب الطويلة :

نظرية مــاو عن الحـــرب الطويلــة تبين الإطـار العام للنهـج (السياسي - العسكري) الذي يتكون من ثلاث مراحل:

مرحلة الدفاع الاستراتيجي:

تميل خلالها كفة القوة العسكرية لصالح الحكومة، بينما يركز المتمردون على البقاء وبناء الدعم.

مرحلة التوازن الاستراتيجي:

تصل خلالها علاقات القوة إلى نوع من التوازن، وتصبح حرب العصابات هي النشاط الأكثر الأهمية.

مرحلة الهجوم الاستراتيجي المضاد:

عندما يصبح لدى المتمردين تفوق في القوة، وقوات عسكرية كبيرة، فيلجأون حينئذ إلى العمليات القتالية التقليدية لتدمير القدرات العسكرية الحكومية.

المرحلة الأولى،

مرحلة الدفاع الاستراتيجي، وهي فترة تشهد خمول في التمرد يسمح لعنصر الوقت باستنزاف قوة العدو في الوقت الذي يكتسب فيه التمرد الدعم ويعمل على بناء وإقامة القواعد. وخلال هذه المرحلة، يطور قادة المتمردين الحركة إلى تنظيم سري فعال. حيث يستخدم المتمردون مجموعة متنوعة من التكتيكات التآمرية من أجل تهيئة السكان نفسياً لمقاومة الحكومة أو أي قوة استعمارية محتلة. وهذه التكتيكات قد تشمل الدعاية، والمظاهرات، وحملات المقاطعة، والتخريب. وبالإضافة إلى ذلك، ينظم قادة الحركة أو يطوروا علاقات تعاونية مع المجموعات السياسية الشرعية، ومنظمات الشباب، والاتحادات العمالية، والتكتلات السياسية الأخرى. ومما لا شك فيه أن هذا يعمل على حشد الدعم الشعبي من أجل القيام لاحقاً بأنشطة سياسية وعسكرية. وخلال هذه المرحلة، يعمل قادة الحركة على:

١ | تجنيد، وتنظيم، وتدريب الكوادر.

٢ | التغلغل في المؤسسات الحكومية الأساسية والمجموعات المدنية.

٣ | إقامة خلايا استخبارية، وعملياتية، وشبكات دعم.

٤ | جمع التبرعات والحصول على تمويل.

٥ | تطوير مصادر الدعم الخارجي.

وعادة ما تُنفذ هذه الأنشطة الهـدامة بشكـل نموذجي منظـم، مع تجنـب الاشتـباكـات الرئيسية، ويتركز النشاط العسكري الرئيسي على الهجمات الإرهابية. والتي تُنفذ من أجل الحصول على الدعم الشعبي، والتأثير على الجماهير التي تحتقن غضباً، وتحطيم قوة العدو. أما في الخطوات المتقدمة من هذه المرحلة، فقد تقيم التنظيمات المتمردة كياناً مضاداً للدولة يوازي السلطة القائمة بالفعل. (هذا الكيان المضاد للدولة أو حكومة الظل) عبارة عن هيكل منافس تعمل الحركة على بنائه من أجل إحلاله مكان الحكومة. ويشمل الجوانب الإدارية والبيروقراطية للسلطة السياسية، ويؤدي هذا الهيكل الوظائف الطبيعية للحكومة.

المرحلة الثانية،

التوازن الاستراتيجي، وتأخذ شكل حرب عصابات علنية تتجه فيها علاقات القوة إلى التوازن. ويرتكز التمرد عادة في الأرياف، وتعمل العصابات انطلاقاً من مناطق تمركز آمنة نسبياً تقام في أماكن يسيطر عليها المتمردون. أما حركات التمرد التي تتخذ المناطق الحضرية مركزاً لنشاطها، فإن العصابات تعمل فيها بشكل سري عبر خلايا منظمة. وعلى الصعيد السياسي، فإن الحركة تركز على تقويض الدعم الشعبي للحكومة، وتعمل على بسط وتوسعة نطاق سيطرتها. ويمكن أن تتخذ الأنشطة الهدامة شكل محطات بث إذاعية سرية، أو صحف، أو كتيبات تتحدي سيطرة وشرعية السلطة القائمة.

ومتى فقد الشعب إيمانه بالسلطة القائمة، فقد يقرر أن يعمل على مقاومتها بكل همة. وخلال هذه المرحلة، قد تبدأ حكومة الظل في البزوغ لسد الثغرات في الإدارة الحكومية، والتي تمتنع حكومة الدولة المضيفة عن معالجتها أو لا تقدر على ذلك.



وإن آخر مثاليين على هذا النموذج يتمثلان في تنظيم مقتدى الصدر بالعراق (جيش المهدي) وحزب الله في لبنان. إذ عمل جيش المهدي على توفير الأمن وخدمات أخرى في مناطق تخضع لسيطرة الصدر بجنوب العراق وفي بغداد. (في واقع الأمر، عمل جيش المهدي على خلق فجوات عبر تقويض الأمن والخدمات؛ ثم تحرك لحل المشكلة التي أوجدها ابتداء). أما حزب الله فإنه يوفر الخدمات والأمن ومساعدات إعادة الإعمار لمؤيديه. وكل منهما يمثل تجسيداً للهوية الشيعية التي تقف في وجه الحكومات ذات التعددية الحزبية والضعيفة نسبياً.

المرحلة الثالثة،

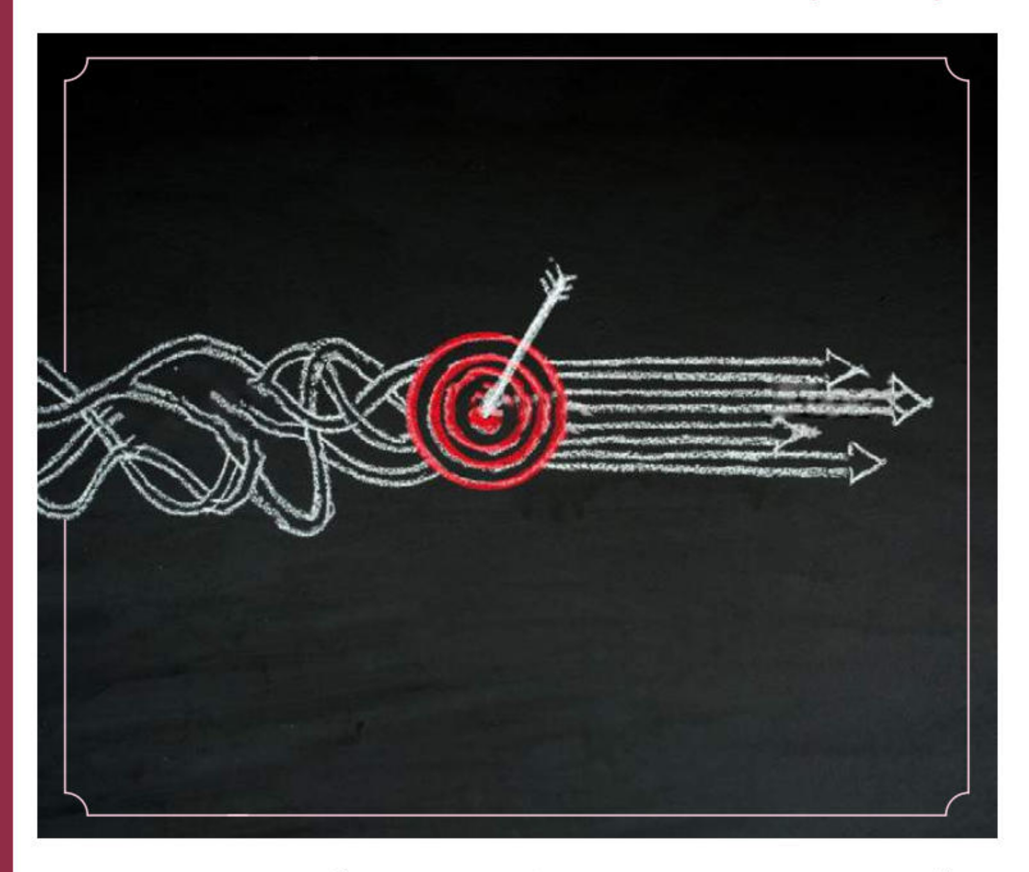
هي مرحلة الهجوم الاستراتيجي المضاد، وتقع عندما يصبح التنظيم المتمرد أقوى من السلطة القائمة. وتنتقل خلالها القوات المتمردة من حرب العصابات إلى الحرب التقليدية. وتهدف القوات العسكرية المتمردة إلى تدمير القدرات العسكرية للأعداء.

أما التحركات السياسية فإنها تهدف إلى إزاحة جميع السلطات الحكومية. فإن نجحت، تؤدي هذه المرحلة إلى انهيار الحكومة أو انسحاب القوة الاستعمارية. وبدون وجود أي تدخل أجنبي مباشر، يكتسب الهجوم الاستراتيجي سمات الحرب الأهلية واسعة النطاق. وبينما تعمل الحركة المتمردة على إخضاع أجزاء واسعة من الدولة لسيطرتها ونفوذها، تصبح مسؤولة عن السكان، والموارد، والمنطقة الخاضعة لسيطرتها. ومن أجل تدعيم مكاسبها والحفاظ عليها، تواصل حركة التمرد الفعالة أنشطة المرحلة الأولى المنصوص عليها سابقاً، بالإضافة إلى ما يلي:



١ إقامة إدارة مدنية فعالة.
٢ إقامة تنظيم عسكري فعال.
٣ تقديم تنمية اجتماعية واقتصادية متوازنة.
٤ تعبئة السكان من أجل دعم تنظيم المتمردين.
٥ حماية السكان من الأعمال العدائية.

إن التطبيق الفعال للاستراتيجية الماوية لا يتطلب تطبيق جميع المراحل الثلاث سالفة الذكر بصورة متسلسلة أو كاملة. إذ الهدف هو الاستيلاء على السلطة السياسية، ويكون أفضل بكثير إذا انهارت الإرادة والقدرات الحكومية مبكراً.



أما إذا باءت تلك الاستراتيجية بالفشل في مرحلة متأخرة، فقد يرتد التمرد على عقبيه إلى المرحلة السابقة لها. وقد قام متمردون ظهروا لاحقاً بإضافة تعديلات جديدة على هذه الاستراتيجية مثل رفض الحاجة إلى التحول في نهاية الأمر إلى العمليات التقليدية واسعة النطاق، فعلى سبيل المثال، لم يحقق المتمردون الجزائريون نجاحاً عسكرياً من أي نوع، وإنما حازوا على دعم شعبي منقطع النظير من خلال مهارات تنظيمية عالية ودعاية ماهرة استغلت أخطاء الجانب الفرنسي. فكل هذا إلى جانب عوامل أخرى، مثل فقدان العزيمة في فرنسا أجبر الفرنسيين على الانسحاب في نهاية المطاف.



مذكرات الشيخ رفاعي طه (7)

سجلها عنه وحررها : محمد إلهامي

من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية

قصة ثورة في المدرسة الثانوية

لهذا كان ضابط الأمن يكثر الجلوس معي، ولكنه لم يكتشف تنظيمنا المصغر

بدأت ثـورة المدرسة بقطعة طباشير وانتهت بتكسيـر أدراج وهـدم شُرفتيـن!

• لقراءة الحلقات السابقة:

بعد قصة التصوف هذه أعود الآن إلى خط الدراسة.. فقد كانت هذه الزيارة الأخيرة لأمن الدولة قد تركت أثرها عليّ، لقد صار يُنظَر إلي في المدرسة نظرة غير المرغوب فيه من الكثيرين، وقد أضيف إلى هذا أن المباحث العامة في مركز إدفو قد وضعت أعينها عليّ، وذلك أن ضابط المباحث في ذلك الحين كان هو زوج المُدَرِّسة "إكرام" التي ذكرتُ ما وقع بيني وبينها سابقاً حين ذكرت في الإذاعة حديث "صنفان من أهل النار لم أرهما" فأُبْلِغ في أمن الدولة أني أُعَرِّض بها، وذلك الضابط في أمن الدولة الذي فهمت منه نصف الحديث الثاني كان هو نفسه قد جاء إلى المدرسة وتحدث معي أكثر من مرة.

لست أتذكر الآن ما إن كان مجيئه هذا قبل أم بعد الاستدعاء الثاني لأمن الدولة، وأغلب الظن أن ذلك كان بعدها، لكنه جلس معي ثلاث مرات أو أربع، كانت واحدة منها بسبب يعود أيضاً إلى زوجة ضابط المباحث: إكرام.

" كان الطلاب يلجؤون إلي لشهرتي بينهم لتفوقي ولطبيعة شخصيتي القيادية، ويتجاوزون رئيس اتحاد الطلاب نفسه، فإن كان ثمة شيء يطلبونه من المدرسة كنتُ أتولى الكلام فيه مع المدير والناظر، فإن استجابت إدارة المدرسة فبها ونعمت، وإلا حوَّلتُ طاقتي إلى تحريض الطلاب عليهم، وكنت أُحْسِن هذا، وقد وقعت الأزمة لأن هذه المُدَرِّسة كانت شديدة التبرج ومثيرة، وكان معنا في الفصل طالب تكرر رسوبه في الثانوية العامة حتى كان سنه أكبر منا جميعاً، فلربما كان في العشرين من عمره، أي أنه قريب من عُمْر المُدَرِّسة نفسها، وكانت عيون المراهقين تنهب هذا التبرج حتى كان ذات يوم ألقى فيه هذا الطالب عليها خلسة قطعة من الطباشير، يمكن أن نعتبر هذا نوعاً من التحرش أو نوعاً من الإهانة والتحدي والمعاقبة أو كل ذلك معاً، وكانت ردة فعلها بطبيعة الحال ساخطة، إذ صاحت فينا: من الذي فعل هذا؟! فلم يرد أحد.. ويمكن أن نعتبر هذا خوفاً من الطالب الكبير السن أو شهامة ومروءة كالتي يرى الطلاب أنها من الرجولة تجاه بعضهم ضد المدرسين (الذين يُمَثِّلون السلطة داخل الفصول، بينما الطلاب هم ممثلو الشعب والجماهير!)، وظلت تصيح بإصرار تريد معرفة الفاعل، وظل الطلاب ساكتين لا ينطقون، فخرجت من الفصل مسرعة إلى ناظر المدرسة الذي جاء هو الآخر مهرولاً، وفي هرولته دفاع عن قِيَم المدرسة وانحياز لإدارتها كما فيها قلق مبعثه أن زوجها ضابط المباحث!.. فصاح بدوره يسأل عن الفاعل، فلم يجب أحد.. وظل هذا هو الموقف حتى انتهى اليوم وذهبنا إلى البيوت! "



تصورنا أن المشكلة قد انتهت على هذا، إلا أننا فوجئنا في اليوم التالي أننا قد أوقفنا في ساحة المدرسة ولم يُسمح لنا بالصعود إلى الفصل الدراسي، وعاد الناظر يسأل مجدداً عن الفاعل الذي أهان مُدَرِّسَتَه، والطلاب من جهتهم يقولون: لا نعرف. فقال: إذن، لا دراسة، ولا صعود إلى الفصول، وعودوا إلى بيوتكم!

غضب الطلاب واعترضوا ولكنهم في النهاية انصرفوا إلى البيوت ولم يبق إلا ثلاثة يتفاوضون مع الناظر على إنهاء هذا الأمر، وكنت من بينهم، وقد حاولنا مع الناظر وجادلناه خصوصاً ونحن في السنة الثالثة الثانوية وهي سنة فارقة ومهمة في تحديد مصائرنا الدراسية، وقلت له: لا يمكن أن يُعاقَب الفصل كله بذنب طالب واحد. قال: أنتم تعرفون من فعل هذا ويجب أن تُخبروا به. قلنا: نحن لا نشي ببعضنا حتى ولو كنا نعرفه بالفعل (وكان هذا ضد معنى الرجولة بيننا في ذلك الوقت)، فقال: ومع أني أعرفه لكنني لن أصفح عنكم ولن أرجعكم للدراسة إلا إذا اعترفتم أنتم به، فقلت له: إذن الموضوع متوقف عندك، حيث إنك تعرفه فلتعاقبه ولينته هذا الأمر، وطال بيننا الجدال وفشلنا في الوصول إلى نتيجة، فخرجنا من عنده لا إلى البيوت ولكن إلى فصل دراسي آخر كي لا تفوتنا الدراسة، ولم يعترض هو على ذلك.

جاء الصباح التالي فتكرر نفس الموقف، لم يسمح لنا الناظر بالدخول إلى الفصل، ولكن هذه المرة لم يرجع الطلاب إلى بيوتهم بل بقينا في ساحة المدرسة، ثم عزمنا على أن نقسم أنفسنا ونتوزع على بقية الفصول فلا تفوتنا الدراسة، وبينما نحن كذلك إذ عملنا على تحريض الفصول الأخرى لتقف معنا (بمقتضى معنى الرجولة نفسه الذي منعنا من الاعتراف على زميلنا، والذي يقتضي عليهم التضامن معنا)، وهم من ناحيتهم أبدوا استعداداً لهذا، ووصلنا إلى اتفاق مع بقية الزملاء أن بداية الأسبوع القادم سيكون فاصلاً، إما أن يُسْمَح لفصلنا بالدخول أو أن تضرب المدرسة عن الدراسة، ولا مانع من تكسير المدرسة أيضاً!



وعند بداية الأسبوع سارعت إلى الناظر قبل بدء الطابور وقلت له: الطلاب اليوم مصرون على دخول الفصل، وكلهم أبناؤك والأفضل أن يدخلوا إلى فصلهم. فقال لي بحزم: لن يدخل أحد الفصل! قلت له: إن ثلاثة أيام من العقاب كافية وكل هؤلاء الطلبة هم أبناؤك حتى ولو أخطؤوا، وأنت بمثابة الأب لهم جميعاً. فلم يُجْدِ كل هذا الكلام الحسن شيئاً، وأصر على موقفه، فقلت له: إني أعلم أن الطلاب قد عزموا أمرهم وأنهم إن لم يدخلوا إلى الفصل اليوم فلن يدخل بقية الطلاب إلى فصولهم تضامناً معهم أيضاً، فأبرق وأرعد وهددنا، فعدت مرة أخرى إلى الكلام اللين وأنه مثل الأب للجميع وأن الأمر لا يحتمل أن يستمر أكثر من ذلك. ولمرة أخرى لم ينفع هذا معه فقلت له في صيغة نصفها ودّ ونصفها تهديد: لقد قمت بما علي وأبلغتك بما يمكن أن يحدث إذا استمر هذا الوضع.

توجس خيفة من هذا الوضع، ولكنه أصر على موقفه، فاتصل بجهاز الأمن.

ومن جانبنا سارعنا بتوزيع أنفسنا على الفصول، فسارعت تلك الفصول للإضراب عن الدراسة ورفضوا أن يدخلوا إلى فصولهم، وفيما بعد اكتشف الصف الأول والثاني الثانوي أننا لم ندخل فعادوا من فصولهم بعد أن وصلوا إليها.. وبدأ التوتر يخيم على الموقف: المُدَرِّسون يحاولون سوق الطلاب إلى الفصول والطلاب يمتنعون، ثم انفجر الموقف حين أراد المُدَرِّس محمد سرور أن يستعمل القوة فصاح في الطلاب بعنف أن يدخلوا فردَّ عليه طالب طويل القامة قوي البنية واسمه عادل قائلاً: هذا ليس من شأنك يا أستاذ سرور. وجُنَّ المدرس الذي لم يتعود أن يخاطبه أحد من طلابه هكذا، فصفعه على وجهه، وما كان هذا الصفع يليق أيضاً على طالب يرى نفسه قد صار رجلاً أمام زملائه، فكانت هذه هي نقطة انفجار الموقف.

انفلت الأمر، وتشتت الطلاب الغاضبون في كل جهة، وصعدوا إلى الفصول التي لم تنتبه بعد لما حصل، وأخرجوا الطلاب، وألقوا بالأدراج من الطوابق العليا، وسرت الفوضى التي لم يكن أحد قادراً على إيقافها مع غضبة الطلاب، بل هدم بعضهم شُرفتين من شُرَف المدرسة، وبدأ آخرون بملاحقة المدرسين ولم ينج منهم إلا من أغلق على نفسه بابًا واختفى من المشهد. كان الأمر أشبه بثورة شعبية مصغرة يطارد الشعب فيها ممثلي السلطة في لحظة قوتهم وضعفها ويُهدمون رمز المؤسسة السلطوية التي تحكمهم، وهي في حالتنا هذه: المدرسة.

كانت مدرستنا بين مدارس أخرى، فما إن سرى خبر "الثورة" في مدرستنا، حتى انتقل منها بغير تدبير إلى المدرسة الثانوية الصناعية المجاورة، وإذا بها وبغير سبب ما يوقفون الدراسة ويُكسرون المدرسة ويطاردون الأساتذة ويهتفون "معكم يا ثانوية عامة"!! وكان هؤلاء الطلاب، لظروفهم المعروفة [1]، أقل رغبة في الدراسة وأكثر رغبة في التمرد وأطول خبرة في معاركة الحياة كذلك فكانوا أكثر جرأة وشجاعة وإقداماً..

سيطر الطلاب على المدرسة، ومطلبهم المعلن هو دخول فصلنا إلى صفه وانتظامه دراسياً، وعند هذه اللحظة حضر ضابط الأمن إلى المدرسة يحاول أن يفهم ما حدث، وفوجئ بهذا الوضع الجديد، فسارع إلى تهدئة الوضع وما إن استقر الأمر حتى دخل بنفسه إلى كل فصل وأخذ في سؤال الطلاب عن السبب والأزمة، فإذا به يسمع في كل فصل حادثة الطباشير وعقوبة المنع من الدراسة، ففهم أن الأمر لا يحمل معنى سياسياً وليس وراءه دافع من خارج المدرسة، فاتخذ لنفسه مهمة الوسيط بين الطلاب وبين إدارة المدرسة من أجل إنهاء الموقف.

"ساعتئذ كانت إدارة المدرسة قد وقعت في الحرج، لقد انفلت الموقف حتى تمرد الطلاب وكسروا بعض أجزائها وأصابوا المُدَرِّسين وكسروا هيبة الإدارة، فاستغاثوا بجهاز الأمن لتأديب الطلاب وجعل ما حدث عبرة لمن يعتبر فلا يزالون يهابون المدرسة وإدارتها، ولا يترددون في الطاعة ولا يفكرون في العصيان، ثم ها هو جهاز الأمن الذي استغاثوا به يتحول فجأة من موقع العصا والتأديب إلى موقع الذي يتوسط لحل المسألة وتهدئة الأمور!! إن الأمر لو استمر على هذا الحال فلن يبقى للمدرسة ولا ناظرها هيبة ولا طاعة، بل وسيسهل على الطلاب التمرد في كل وقت، طالما التمرد يحصد المكاسب ولا يجلب العقوبة!! لكن المأزق الأهم هنا أن أحداً منهم لا يملك أن يعارض رغبة جهاز الأمن الذي هو فوق كل جهاز، لقد صار الموقف معكوساً فبدلاً من أن يكون الطلاب والأمن في المواجهة صارت المواجهة الآن بين إدارة المدرسة التي تريد أن تعاقب وجهاز الأمن الذي يريد حل الموضوع!"

(1) دفعت ظروف كثيرة في مصر، سياسية وتعليمية واقتصادية واجتماعية، لأن يكون التعليم الفني في مصر أقل قدراً ومكانة ومستقبلاً من التعليم العام، فكان يدخل إليه الطلاب الذين لم يحققوا درجات عالية في الإعدادية، أو الذين لا تسمح ظروف أهاليهم بالإنفاق على تعليمهم العام ثم الجامعي، أو الذين حملهم التعثر في الدراسة أو الوضع الاجتماعي على الخروج لسوق العمل مبكراً فدخلوا إلى التعليم الفني لمجرد الحصول على شهادة.. فكان التعليم الفني (الزراعي والصناعي والتجاري) هو بشكل عام معبر عن طبقة اجتماعية أقل، ومثل هؤلاء يكونون أصلب في المعارك وأكثر خطورة وأسرع إلى التمرد أيضاً.



أراد الناظر الخروج من الأزمة ببعض حفظ ماء الوجه فاشترط فصل بعض الطلاب، الذين هم الزعماء المحرضون كما قال، فلم يجد إلا الطلاب الذين بقوا وتفاوضوا معه، وكنت من بينهم بطبيعة الحال، إلا أن الأستاذ عيد الرافعي وقف معي وجادل عني وذكر كثيراً أنني لم أكن محرضاً وإنما كنت وسيطاً وإنما كان الطلاب يثقون بي ويُقَدِّمونني ولهذا كانوا يخبرونني عما ينوون فعله وكان دوري أن أخبر إدارة المدرسة وأحاول إنهاء الأمر لولا تعنت الناظر. وبعد مجهود وجدال استطاع أن يخرجني من بين الطلاب الذين سيقررون فصلهم. لكنهم وجدوا أن طالباً آخر من هؤلاء الخمسة هو ابن عمدة قرية قريبة، وكان الرجل كبيراً في قومه وصاحب نفوذ، ومسألة عقاب ابنه بالفصل من الدراسة قد يترتب عليه مشكلات فأخرجوه أيضاً، وبقي طالبان أو ثلاثة لم يكن لهم ظهير فقرروا أن يفصلوهم من الدراسة.

ما إن بلغنا الخبر، ونحن كنا في لحظة انتصار وما بالك بنفسية المنتصر؟ وما بالك بلحظة الرومانسية الثورية التي تعقب النصر؟! فما إن بلغنا الخبر حتى كان موقفنا جازماً لا تردد فيه: لن نسمح بفصل أي طالب ولا حتى لساعة، ولو أُخرج طالب من فصله فلن تستقر المدرسة. وبالفعل وبفضل موقف الطلاب المتوحد ألغيت قرارات الفصل، وخرج الطلاب من هذه "الثورة" وقد حققوا كل مكاسبهم، وكانت إدارة المدرسة هي الخاسرة كل الخسارة.

"من بعد هذه الحادثة كان ضابط أمن الدولة يكثر الجلوس معي، اعتبرني زعيماً للطلاب ومحرضاً لهم، وكان يريد أن يفهم كيف أفكر، وممن أستلهم آرائي، وما هي علاقاتي.. ومن جهتي كنت أكرر دوماً أني من أعضاء الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الاتحاد الاشتراكي العربي، وأني ابن البلد، ومن جيل الثورة، وأن لهذه الدولة والثورة الفضل علينا.. إلخ! كنت أعرف أنه من الضروري إقناعه أننا شباب صغير وليس بيننا وبين الدولة شيء!"

كان يقتنع بما أقول، على الأقل: يُظهر لي هذا الاقتناع، وفي الواقع لم يكن لديه ما قد يشككه فيما أقول، بينما كنتُ بالفعل قد كونتُ جماعة من زملائي بدأت بأحد عشر طالباً، ثم زاد عددها في الصف الثالث الثانوي إلى ثمانية عشر طالباً، كما كنتُ قد ذكرتُ سابقاً. ولكن الجديد الذي يجب قوله هنا ونحن في الصف الثالث الثانوي هو ذلك العهد الذي قطعناه على أنفسنا: أن ندخل جميعاً الكلية الحربية!

كان هذا العهد فرع عن تصورنا الذي ذكرته من التفكير في انقلاب عسكري لإقامة الدولة الإسلامية، ودخول الكلية الحربية هو الخطوة الأولى منها، وتعاهدنا على ذلك والتزمنا سريته، وقد التزم الجميع بهذا العهد، وعند انتهاء الصف الثالث الثانوي قدموا جميعاً أوراقهم إلى الكلية الحربية، لكن حصل ما لم نحسب له حساباً: لم يقبل من هؤلاء جميعاً إلا طالب واحد فقط!

ومع ذلك فقد بقيت لنا صلة به، وكان يتابع معنا حتى أصبح ضابطاً وحصل على رتبة ملازم أول، وحينها بدأ يتغير ويتخلص من هذا العهد الذي قطعناه معاً قديماً، كان يتعذر بأننا تأخرنا في الدراسة المدنية، وهذا صحيح وإن لم يكن عذراً، فقد توزعت مجموعتنا بين كليات الطب والهندسة والتجارة والعلوم، دخلتُ كلية التجارة وتأخرت فيها لظروف سأقصها فيما بعد، ومن دخلوا كلية الطب كانوا ينهون دراستهم بعد سبع سنوات، ومن دخلوا كلية الهندسة ينهون دراستهم بعد خمس سنوات، وهذا الذي قُبِل في الكلية الحربية كان يُفترض به أن يدخل كلية العلوم إلى جوار آخر من مجموعتنا، اسمه أحمد سالم، دخل العلوم بعدما لم يُقبل في الكلية الحربية وتدرج فيها حتى صار أستاذاً، وأحسب أن هذا الذي دخل الكلية الحربية لا يزال في صفوف القوات المسلحة وإن كانت قد انقطعت علاقته بنا من ذلك الوقت البعيد.

غلب على هذه المجموعة الاتجاه الوطني وليس الإسلامي، وقد حصل لنا تحول آخر حين دخلنا الجامعة، إذ بقي الأغلب ضمن هذا الاتجاه الوطني ولم يتحول إلى الاتجاه الإسلامي سواي وآخرُ معي.

لكن لهذا حديث آخر.. ويجب أن يكون قبله حديثٌ عن انضمامي لصفوف الطلائع في الاتحاد الاشتراكي.



دور الجهاد في نشـــر رســـالــة الإسلام (1)

مصطفى البدري

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، الله خير مما يشركون، وبعد:

يقول سيد قطب رحمه الله عن بعض المنتسبين للدعوة الإسلامية: ويقولون -وهم مهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع اليائس لـذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان-: إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع! ويحسبون أنهم يُسْدُون إلى هذا الدين جميلًا بتخليته عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا، وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته. ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها [1].

ومن هذا المنطلق أحببت أن أفتتح كتاباتي في هذه المجلة الغراء بسلسلة ألخص فيها أحد الكتب المهمة التي أفادتني كثيرا خلال حياتي الدعوية [٢] ، وهو كتاب:

أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية - علي بن نفيع العلياني - ١٤٠٤ هـ

أصل هذا الكتاب عبارة عن رسالة نال بها صاحبها درجة الدكتوراه بتقدير عام ممتاز، وكانت بإشراف الشيخ الدكتور محمد قطب رحمه الله.

وسأتناول في هذا المقال بعون الله ومدده وتوفيقه مقدمة الكتاب والباب الأول [٣] .

المقدمة

أسباب اختيار الموضوع [٤] :

(١) انحراف الأمة الداخلي؛ حيث غياب الدولة الإسلامية، وإهدار التحاكم إلى الشريعة، وترك الجهاد؛ مما أدى إلى انحرافات عقدية كبرى.

(٢) احتلال الكفار لبلاد المسلمين؛ وما ترتب عليه من فرض قوانينهم، ونشر ثقافاتهم، وتمييع عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين، ووصل الأمر إلى أن الدعاة إلى الله تركوا الحديث عن الجهاد وأحكامه، وواكبوا الأفكار التغريبية الوافدة علينا، حتى انتشرت فكرة الدين الإنساني الجديد!!

الباب الأول: منهج الدعوة إلى الله قبل تشريع الجهاد القتالي.

وهو مقسم إلى خمسة مباحث:

الأول: وصف موجز للجاهلية التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- الجاهلية ليست فترة زمنية محدودة تنتهي ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كل من رفض الاهتداء بوحي الله ورفض الحكم بما أنزل الله فهو في جاهلية. قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

- الجاهلية طارئة على الفطرة البشرية، والأصل في الفطرة السوية الاستسلام لله سبحانه ومعرفته والخضوع والانقياد له ومحبته والخوف من سطوته.

---

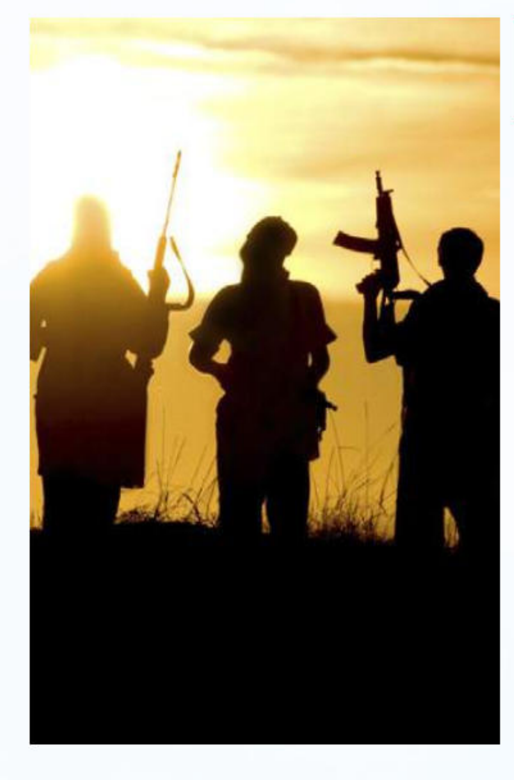
(١) انظر المعالم ومقدمة تفسير سورة الأنفال من الظلال. (٢) مع التأكيد على أن مثل هذه الملخصات لا تغني عن الكتاب الأصلي بحال.
(٣) قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة. (٤) انظر مقدمة الكتاب ص ٩ : ١٢.

- الجاهلية التي بُعِثَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشنع الجاهليات، قال أبو الحسن الندوي: كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح عليه السلام من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت الإنسانية متدلية منحدرة منذ قرون، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي.

ومن أهم مظاهر الجاهلية في القديم والحديث:

- عدم الإيمان بوحدانية الله وخاصة في جانب العبادة.
- الكفر باليوم الآخر، والسخرية من فكرة البعث والنشور والحساب.
- ممارسة التشريع من دون الله، والاحتكام في التحليل والتحريم إلى الطاغوت والهوى والشيطان.

وقد خلص الباحث إلى أن أهل الكتاب (باستثناء بعض أفراد) ليسوا بأحسن حالا من أهل الجاهلية، حيث التثليث والإشراك في العبادة والتشريع.



الثاني: هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسرار والجهر بالدعوة.

وصور الإسرار ثلاثة:

(١) الإسرار بالإسلام مع إظهار شيء من الكفر، مثلما فعل عمار بن ياسر، وهذا لا يكون إلا مع الإكراه كما هو نص الآية {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن من شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، وقد نقل ابن بطال الإجماع على أن الثبات في هذه الحالة أفضل حتى لو أدَّت للقتل.

(٢) كتمان الإسلام مع عدم إظهار شيء من الكفر، كما كان حال كثير من الصحابة في أول الإسلام، وكما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض الوافدين للإسلام.

(٣) إظهار الإسلام مع الإسرار بالدعوة والحركة، وهو أمر تكاد تطبق عليه كلمة علماء الأمة في القديم والحديث، بخلاف ما ظهر من بعض المعاصرين الذين ينكرون وجوده أصلا.

ثم قال المصنف: وباستقراء نصوص السيرة ودعوة الأنبياء التي قصَّ الله تعالى في القرآن الكريم، يظهر لي أن الجهر بالدعوة حتى يسمعها القاصي والداني والقريب والبعيد، وحتى يعلو صوت الحق هو الأصل في الدعوة إلى الله.

وإذا كان الجهر بالإسلام والدعوة إليه مرحلة حتمية في خط سير الحركة، فإن الأصل في إعداد العدة ورسم الخطط لإزالة الجاهلية أن يكون سِرًّا، إلا أن تقتضي المصلحة الشرعية غير ذلك.

وبعد مناقشة طويلة لهذه النقطة.. خلص الباحث إلى:

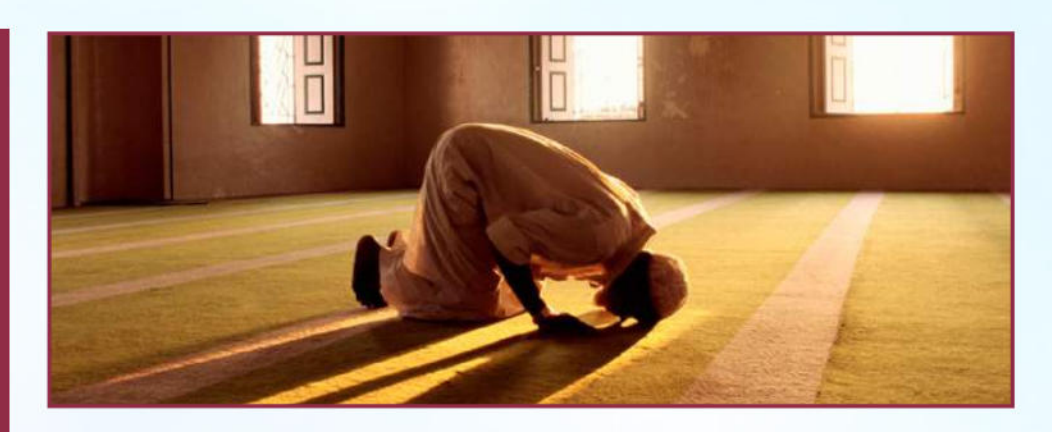
- الحق الذي لا مرية فيه، أن الجهر أحيانا يكون محرَّمًا، وذلك إذا ترتبت عليه مفسدة محضة، كأن تُستأصلَ شأفة المسلمين بسببه، والإسرار أحيانا يكون محرَّمًا، وذلك إذا ترتبت عليه مفسدة محضة، كأن ينتشر الكفر وينخفض الإسلام.

- وبيّن الباحث أن بعض الناس أحيانًا لا تزيدهم الدعوة إلا فجورًا وجرأةً على الله، وهؤلاء لا يؤثّر فيهم إلا السيف، ونقل عن الإمام الشوكاني ما معناه: إن عامة الزنادقة لم تلجمهم كلمة الحق، بل ألجمتهم سيوف الإسلام.

- ورغم ما يجوز من إخفاء أمر الدعوة أحيانا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يداهن قريشًا ولم يعطها مرادها مرة واحدة في أمر السكوت عن هذه الدعوة المباركة، بل أعلن المفاصلة التامة مع الجاهلية، مستجيبا في ذلك لقوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} وقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} وقد ظهر هذا في رَدِّه عليه الصلاة والسلام على عتبة ابن ربيعة عندما جاء يفاوضه لما قرأ عليه طرفًا من سورة فُصِّلت.

- وهو نفس ما فعله الكبار (أبو بكر وعمر) فالأول ردّ جوار ابن الدّغنّة عندما طلب منه أن يستخفي بصلاته، والثاني أعلن لأهل مكة إسلامه حتى قاتلهم وقاتلوه.

- وفي هذا دلالة على أن مراغمة الجاهلية أمر متأصل في جنبات هذه الدعوة حتى في أوقات الاستضعاف.



الثالث: تربية الرسول للرعيل الأول على تحمل أعباء الدعوة.

وفي سبيل ذلك نزل القرآن المكّي ليؤكد على ما يلي:-

(١) ترسيخ العقيدة في قلوب المؤمنين، بداية من توحيد الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يشمله ذلك من أمور قلبية وقولية وعملية (ومنها إفراده تعالى بالحكم والتشريع)، مرورا بتفصيل أركان الإيمان السّتّة، وصولا للحديث عن قصة خلق آدم وخلق السماوات والأرض، وأن سبب خلق الإنس والجن هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع بيان قبح الجاهلية وانحرافها عن الفطرة السوية التي فطر اللهُ الناسَ عليها.

(٢) تربية الرعيل الأول على مكارم الأخلاق وتنقية نفوسهم من الرذائل، حيث إن الأخلاق الحميدة جزء مهم من العقيدة الصحيحة، وسوء الخلق يعيق الروح أثناء سيرها إلى الله تعالى، وقد تربى الجيل الأول على الصدق والوفاء والأمانة والعفاف والكرم والصّلة وحفظ اللسان وغير ذلك مما تنزل به القرآن وتجسد عمليًّا في رسول الله عليه الصلاة والسلام.

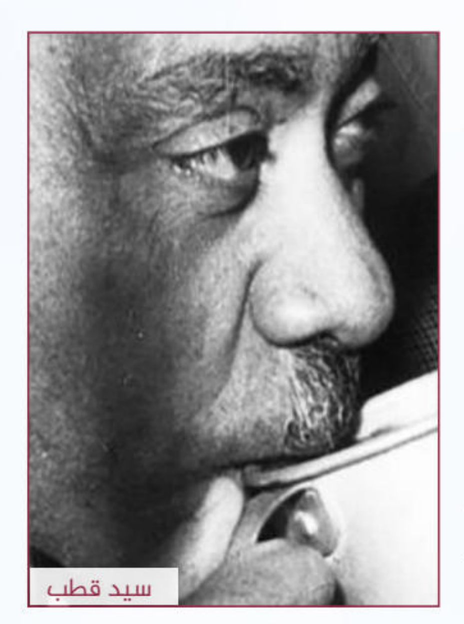
(٣) تزكية النفوس بأنواع العبادات، وأهمها: الصلاة والذِّكر وقراءة القرآن والدعاء، وقد ظهر ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا. إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا... إلى آخر السورة}.

(٤) تربية الروح الجماعية والعمل المنظم لدى الرعيل الأول.

وقد أسهب المصنف في الاستدلال لهذه النقطة، لأهميتها في توجيه شباب الحركة الإسلامية المعاصرة.

وقد ذكر أمثلة كثيرة للتدليل على كون العمل الجماعي المنظم من أولى أبجديات الدعوة الإسلامية في عهد النبوة، حتى إنه استخرج من الهجرة وحدها ستة أدلة على ذلك، وقال في معرض استدلاله: كل هذه الأمور وغيرها تدل دلالة قاطعة على أن القيام بالدين ونشره بين الناس وتطبيق أحكامه، يحتاج إلى اجتماع المؤمنين به تحت قيادة أحدهم ليرعى شؤونهم وينظم أمورهم على مقتضى تعاليم الإسلام... ولأجل هذا أجمع المسلمون الذين يُعتد بإجماعهم على وجوب نصب خليفة من المسلمين، يقوم بحراسة الدين ويسير المجتمع الإسلامي على أحكام الشرع، ولأهمية هذا الأمر فقد ربَّى رسولُ الله صحابته وهو في العهد المكي على العمل الجماعي المنظم الهادف إلى إزالة الجاهلية من الأرض وإحلال الإسلام محلها.

❞ ثم بيّن أن أصلا عظيما من أصول هذا الدين (وهو الشورى) لا يقوم إلا إذا كان هناك اجتماع منظم، إضافة إلا بعض العبادات كالجُمَع والجماعات، وكثير من أحكام الإسلام لا تتم إلا في وجود مجتمع منظم. ❝


سيد قطب

الرابع: الفتنة والابتلاء

الخامس: الصبر والثبات(٥)

إن من الناس من يدخل في زمرة المؤمنين ويلبس لباسهم ويتكلم بلسانهم، فإذا أصابته فتنة أو محنة في سبيل دينه خارت قواه وانحلّت عُراه وبرئ مما كان يدعيه من قبل، وعن هذا النموذج من البشر يقول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّه} ويقول سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرُ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةُ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ}.

❞ **يقول سيد قطب رحمه الله** [٦] : ذلك أن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان. مجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان، ومجاهدتهم باليد لدفعهم من طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية. وحتى يتعرض في هذه المجاهدة للابتلاء والصبر على الجهد والصبر على الأذى والصبر على الهزيمة والصبر على النصر أيضًا فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة- وحتى يتمحص القلب ويتميز الصف وتستقيم الجماعة على الطريق وتمضي فيه راشدة صاعدة متوكلة على الله ❝

- حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان. لأنه يجاهد نفسه أولًا في أثناء مجاهدته للناس، وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبدًا وهو قاعد آمن سالم، وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبدًا بغير هذه الوسيلة، ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وبانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه أبدًا بدون هذه التجربة الشاقة المريرة.

- وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء وحتى يتعرف كل فرد فيها على حقيقة طاقته وعلى حقيقة غايته، ثم تتعرف هي على حقيقة اللبنات التي تتألف منها مدى احتمال كل لبنة ثم مدى تماسك هذه اللبنات في ساعة الصدام.

- وبإلقاء نظرة على سيرة رسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، تجد أنهم قد صبروا وثبتوا في العهد المكي لصنوف العذاب والابتلاء حتى صَلُب عودهم، واستطاعوا أن ينشروا الإسلام في مدة وجيزة في بقاع كثيرة.

فصلى الله وسلم على محمد قائد الصابرين والثابتين، ورضي الله عن المهاجرين والأنصار أهل الثبات والصبر، الذين لولا الله ثم ثباتهم وصبرهم، لما وصل إلينا هذا الدين الحنيف.

وهذا الذي ذكرت في هذا الباب هو نهج الرسول عليه الصلاة والسلام في العهد المكي (بحسب فهمي للنصوص)، أما نهجه في الدعوة المقرونة بالجهاد القتالي في العهد المدني فهو موضوع الباب الثاني .

والله من وراء القصد.

---

(٥) وقد قرنت هذين المبحثين ببعضهما لوحدتهما الموضوعية، واشتراكهما في عامة الأمثلة المضروبة فيهما.

(٦) ضبطت هذا النقل من الظلال، حيث إن الفقرات المنقولة في الكتاب غير مرتبة بشكل صحيح. ويبدو أن ذلك حدث لأن المؤلف نقل الكلام بواسطة، حيث عزاه لكتاب اسمه: (فقه الدعوة للأستاذ سيد قطب اختيار أحمد حسن). وهو ما سنتناوله بالتلخيص في المقال القادم بإذن الله.

د. عمرو عادل

كيف تبني تنظيما ثورياً (٣)

الأمن

لم يعد هناك مجال للعمل الانفعالي الارتجالي الذي يدمر القوة الفاعلة لنا، فقد أثبتت التجارب القديمة أن غياب الدرع الأمني والمعلوماتي جيد البناء عن التنظيمات الثورية يجعلها مجرد فورة سرعان ما تخبو تحت وطأة القوى الأمنية والمعلوماتية التابعة للنظام، فأذرع النظام الرئيسية للقضاء على التنظيمات الثورية هي المنظومة الأمنية المعقدة والمنظومة المعلوماتية ثم في النهاية القوة المسلحة وهي آخر ما يتحرك في عمليات المواجهة مع التنظيمات الثورية، ولذلك علينا أن نسير على هذا الطريق؛ الأمن والمعلومات أولا ثم تنظيمات المواجهة بأشكالها. وكما أعتقد أن بناء المنظومة الأمنية هو أول خطوة واجبة في طريق بناء التنظيم الثوري.



ولمنظومة الأمن عدة سمات

١. دائما تكون في الجانب المظلم للتنظيم، فحجمها سواء كان صغيرا أو كبيرا لابد أن يكون أغلبها غير معروف، حتى طريقة التواصل بين أعضائها لابد أن تحقق أقل قدر ممكن من المعرفة المباشرة بين أعضائها، بمعنى آخر المعرفة على قدر الحاجة.
٢. التواصل بين الجناح المعلوماتي وجناح المواجهة يؤمن بشكل كبير وبعدد محدود جدا من العناصر وعلى كفاءة عالية للغاية.
٣. العناصر الأمنية لا تشارك في أي من أعمال الأجنحة الأخرى سواء جناح المعلومات أو جناح المواجهة.
٤. أن يكون من ينتمي إليه شخصا عاديا لا يلفت النظر سواء في طريقة ملبسه أو علاقاته بالمجتمع وغيرها من الأمور التي تجعله يقلل احتمالات رصده.
نظام اتصال بكود خاص بهم ويفضل استخدام الوسائل التقليدية غير التكنولوجية في حالة عدم توفر وسيلة آمنة تحت السيطرة، وربما هذه الوسيلة التكنولوجية الآمنة غير متاحة لقطاع واسع حتى الآن.
٥. تقليل حجم الأخطاء البشرية بقدر المستطاع وهناك بعض الإصدارات التي تتحدث عن إجراءات بناء النظام الأمني، ولكن ربما لا توفي الغرض دون حس أمني عال وقدرة على التفكير الاستراتيجي على الأقل عند قيادات التنظيم الأمني.

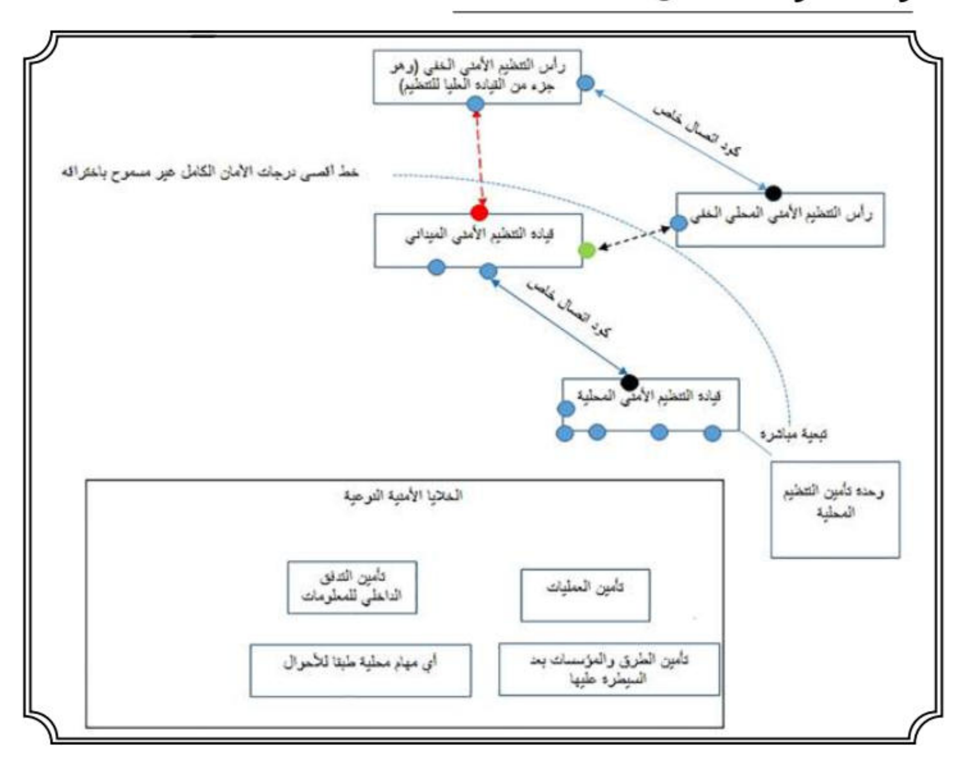
كما أن لمنظومة الأمن عدة وظائف رئيسية ولابد من أن يضع أصحاب الخطوات الأولى لبناء التنظيم هذه الأمور في عقولهم، وأن تكون كل إجراءات تكوين الخلايا وعلاقات الاتصال بينها والأكواد والعناصر المختفية تماما "الشركاء الصامتون" وغيرها من الإجراءات تحقيق هذه الأهداف مجتمعة.

١. الهدف الرئيسي هو القدرة على إعادة إحياء كامل التنظيم في حالة تدميره تدميرا جزئيا أو كاملا، وهذا هو الهدف الأعظم له، وغياب هذا الهدف وعلاقة كل إجراءات التنظيم به خطر كبير، إذ إن احتمال حدوث تدمير كلي أو جزئي في أي تنظيم موجودة سواء لضعف التنظيم أو ضعف أفراده أو لوجود أخطاء بشرية أثناء العمل.
٢. حماية التنظيم من الاختراق: وهذا بالتحري الجيد عن كل عضو محتمل، والجناح الأمني هو المسؤول وحده عن القرار النهائي بقبول عضو في أي من خلايا التنظيم.
٣. وضع التعليمات والإجراءات الواجب اتخاذها من الأعضاء لحماية أنفسهم من الاختراقات الأمنية والتأكد من تطبيق الضوابط الأمنية في كل إجراءات العمل.
٤. نقل المعلومات بين الخلايا العملياتية المختلفة.

مرة أخرى الهدف ليس الوصول للكمال في العمل الميداني فهذا مستحيل في ظل الظروف والضغوط الاقتصادية والأمنية وضعف الإمكانات وندرة الكوادر المدربة، إلا أن كل محاولة الوصول للكمال في التنظيم الأمني هدف لابد من السعي له؛ حيث هو الدرع الكبير للتنظيم وهو روح التنظيم وأهم رافد به والقادر لو استطاع حماية نفسه من الاختراق في إعادة بناء كل التنظيم مهما كان حجم الخسائر. ولذلك مهما كان حجم الجهد والوقت لبنائه كبيرا؛ فهو مهم لبقاء مركز الكفاح مستمرا مهما حدث.

ويحتاج الأعضاء الرئيسيون المؤسسون للتنظيم للكثير من القراءات في الملف الأمني الإجرائي وخاصة في مجال تأمين المعلومات وتدفقها وتشفيرها واكتشاف الاختراقات وحصارها وطرق التواصل الآمنة، وأحد أسوأ المظاهر التي تنشأ في الجانب الأمني هو الرغبة في الظهور الإعلامي، لذلك يحتاج الأمر إلى مجموعة من المخلصين والمؤمنين بشده وبعمق بفكرة الكفاح والنضال.

ولمنظومة الأمن عدة سمات



الدوائر بكل ألوانها تعبر عن ضباط الاتصال وهي النقط الأهم في التنظيم وهم نواة البناء باختيارهم قائد المستوي التنظيمي، ثم التحول لشريك صامت غير معروف لباقي العناصر فقط تواصله مع قائد المستوى التنظيمي الذي بدوره لا يعلم ولا يتواصل مع المستوى الأعلى إلا عن طريق ضابط الاتصال.ويقوم قائد المستوى التنظيمي باختيار ضباط الاتصال الآخرين في حالة وجودهم طبقا للنمط التنظيمي ويكون هو حلقة الوصل بين ضباط الاتصال.

- ضابط الاتصال الأهم ويكونوا على كفاءة عالية ويحمل كل منهم عددا من الهويات وعنده أكثر من مكان آمن وغير مسموح بوقوعه في يد الثورة المضادة بأي ثمن، وهو غير معروف إلا لشخص واحد أو شخصين الأكثر ثقة داخل المستوى التنظيمي وهذا الضابط تحديدا لا يقوم بأي عمل إلا في حالة انكشاف رأس التنظيم الأمني المحلي الخفي، فهو لا يعمل إلا في تلك الحالة الكارثية لعدم عزل قيادة التنظيم الأمني المحلي، وكذلك في حالة انكشاف قيادة التنظيم الأمني الميداني حتى لا يفقد الاتصال مع قيادة التنظيم الأمني المحلية.



في حالة انكشاف أي ضابط اتصال يجب فورا فك الارتباطات بعزل الشخص المرتبط به - أي خروجه خارج التنظيم -حتى لا تقع كل المنظومة، ومن الأمور الرئيسية أن كل ضباط الاتصال يحملون هويات أخرى وأماكن آمنة حتى يمكنهم الاختفاء أو الخروج خارج البلاد والحفاظ على باقي التنظيم.

لابد من اتصال دوري بين كل نقطتين مرتبطتين كل عدد محدد من الساعات وهو ما يمكن لأي فرد تحمل الضغوط قبل انهياره وهذا يحدد حسب الأحوال، والاتصال يكون مكودا بين الطرفين وفي حالة عدم الاتصال يعني سقوط أحد ضباط الاتصال وبالتبعية يجب اتباع التعليمات الدائمة والاختفاء تماما حتى التأكد من الموقف وهذا لحماية باقي التنظيم.

إذا ضباط الاتصال هم النقاط التي توصل المنظومة ببعضها ويحتاجون لترتيبات خاصة وتدريبات جيدة هي عصب كل التنظيم ويجب اختبار نقطة قطع الاتصال (ضابط الاتصال) بعناية حتى يمكن حماية رأس التنظيم من الاختراق أو الانكشاف.

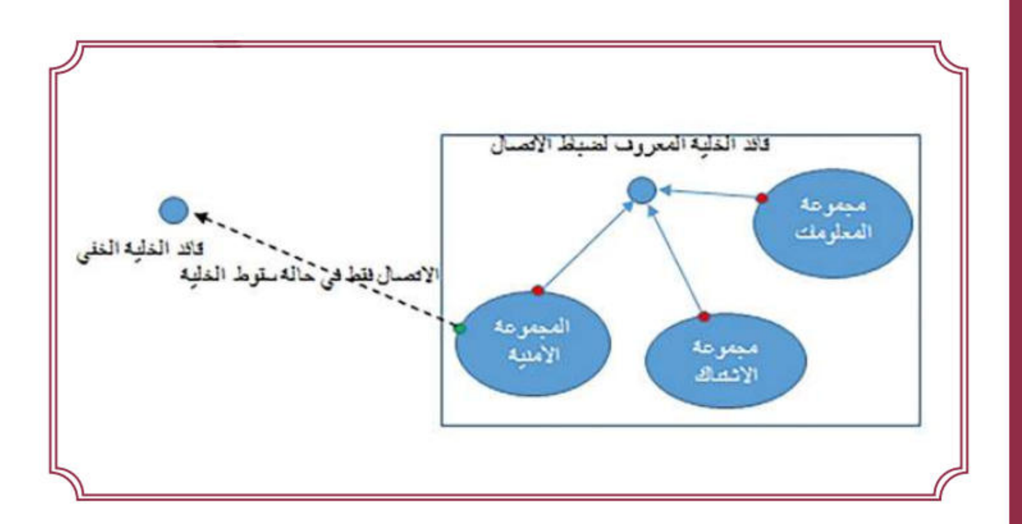


اتصالات الأسهم الحمراء تتم فقط عند الطوارئ بسقوط أحد المستويات التنظيمية طبقا للعلاقات؛ فمثلا الخط الأحمر السفلي يُفعل فقط عند سقوط قيادة التنظيم الأمني الميداني. اتصال السهم الأسود هو أخطرها لأنه هو الرابط الوحيد بين التنظيم وبين القيادة غير المعلنة، ولهذا يجب أن يكون تحت أقصى درجات الحرص والسرية.

ملاحظات

- ما عُرض هو أحد أساليب تنظيم رأس القيادة وارتباطها بالعمل الميداني وهناك طرق أخرى، والرابط بين كل الطرق تحقيق أهداف التنظيم وحمايته.
- ضرورة وجود مثل هذه التعقيدات حتى يمكن القدرة على إعادة بنائه وعدم خسارة الكوادر الرئيسية المدربة.
- لا يمكن الوصول لمستوى جيد دون التجربة والوقوع في الأخطاء.
- خطر الأوقات عند تغيير ضباط الاتصال لأي سبب، ولذلك يجب تشديد الإجراءات وتعددها عند تغيير ضباط الاتصال.
- الخلايا النوعية مهمتها تأمين التنظيم كله على المستوى المحلي من الاختراقات، وتأمين العمليات ووضع خطط تأمين الشارع والمؤسسات من النظام عند اندلاع العمل الثوري.

- **ضباط الاتصال**
- **ضابط الاتصال في حالات الكوارث**



نكمل في المقال القادم بعض التفاصيل.

عَظُمَ المُصابُ

عائشة حسين

عظُمَ المُصابُ وجلّتِ الآلامُ .. في كلِّ صقعٍ يُزدرى الإسلامُ

أنّى نظرتَ فثمَّ جُرحُ نازِفٌ .. والمجدُ يُرثى والشعوبُ تُضامُ

أنّى اتّجهت فأمةُ الاسلام في .. نصبٍ، وذلٍّ .. سبّباهُ لئامُ

أنَّى استدرتَ، فأنّةُ أو دمعةُ .. أو لوعةُ أو مِحنةُ وحُطامُ!

إن ما سَألتَ القُدسَ عن مَأساتِنا .. وعنِ الأسى، ردَّت عليكَ الشّامُ!

وإذا نظرتَ إلى العراقِ وجُرحِها .. باحَ الدَّمارُ وأومأَ الإيلامُ

وإذا كتمتَ الآهَ من فرطِ الرّدى .. نطقَ الهَوانُ، وأفصحَ الإجرامُ

وإذا سألتَ: أما هُنا من فارسٍ! .. يحمي الحما؟ تتصدّر الأقزامُ!

لتقول إنَّ العِز كلّ العز في .. سبلِ السلامِ، فحُكمَ استسلامُ!

يا أمة المليارِ! قد عُرِفَ العدا .. شفَّ المكائدَ مئزرٌ ولِثامُ!

ومخططاتُ الغَربِ بانت جهرةً .. فَضحَت حقيقةَ كُنهِها الأيّامُ

لا الحقُّ يُرجعه السّلامِ ولا العُلا .. يُحظى بهِ إن سادنا الإحجامُ

السِّلمُ دَيدنُ كلّ غِرٍّ تاجرٍ .. رَضِيَ القضيَّةَ تُشترى وتُسامُ

السّلمُ هَاويةُ الشّعوبِ لذِلَّةٍ .. خُطّـَت يُدبِّرُها لنا الحُكّامُ

لتُوحّدوا دون الإلهِ عروشَهُم .. بئسًا لهم، لكأنّهم أصنامُ

السّلمُ أكذبُ خُدعةٍ منسوجةٍ .. حِيكَت وفصّلَ ثوبَها الظُّلامُ

بالسِّلمِ نَرقى؟ رُبّما! لكِن إذا .. بُعِثَ الرّجال من القُبُورِ وقامُوا

يا مسلمون! أتُخدعونَ بفريةٍ .. راجَت، يُسوّقُ زُورها الإعلامُ؟

هدف الرُّعاة يُسيِّرونا خلفهم .. تبعًا، كما تُتسيّرُ الأغنامُ!

وختامها؟ إما المَراعي دارُ او .. جلدُ وسَلخُ بعدهُ الإعدامُ

إن لم نُثبّت بالعقيدةِ قلبنا .. فمُحالُ ان تتثبّتَ الأقدامُ!

هل يُغلبُ الأعداءُ في قولٍ بِلا .. عَملٍ؟ وهل يُبري السّقامَ سقَامُ؟

هل تُشرقُ الأنوارُ دونَ مَعاركٍ .. مُحِقَ الدُجى فيها فماتَ ظلامُ؟

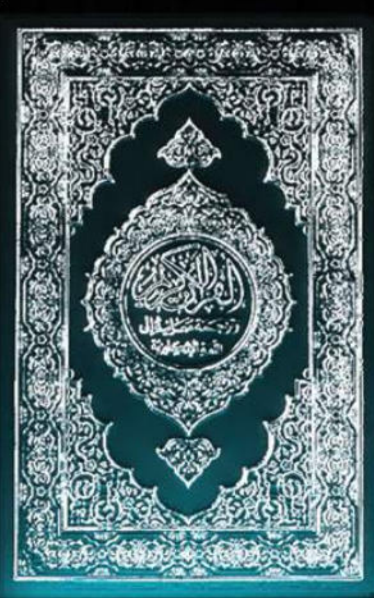
هل تهطلُ الأمطارُ دونَ تصادمٍ .. غلبَت بهِ -شُمَّ الجِبالِ- غَمامُ؟

هل تُرجِعُ الأحلامُ ماضٍ غابرًا .. أم هل يُعيد لنا التراث منامُ ؟

كلّا؛ وإن كنتم ظننتُم مجدَنا .. حُلمًا، مُحالُ أن يعودَ فنامُوا!!!

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



موالاة أعداء المسلمين خيانة للدين

فضيلة الشيخ حسن مأمون

أهمية العمل وترك العجز

د. محمد موسى الشريف (فك الله أسره)

القوة المفترى عليها

د.مجدي شلش

الأكذوبة الكبرى (3)

د.عطية عدلان

العدد الخامس عشر ، أكتوبر ٢٠١٨ | كلمة حق

www.klmtuhaq.blog

موالاة أعداء المسلمين خيانة للدين

فضيلة الشيخ حسن مأمون

(شيخ الأزهر ومفتي مصر الأسبق)



سئل : من السيد / مندوب مجلة التحرير قال ما حكم الشريعة الإسلامية فى المسلم الذى يخون وطنه فى هذه الوقت الحاضر.

أجاب : إن الشريعة الإسلامية أوجبت على كل مسلم أن يشارك إخوانه فى دفع أى اعتداء يقع على وطنه، أو على أى وطن إسلامى آخر، لأن الأمة الإسلامية أمة واحدة.

قال الله تعالى { إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون } الأنبياء ٩٢ ، وكل بلد أغلب أهله مسلمون يعتبر بلدا لكل مسلم.

> " فإذا وقع اعتداء من حكومة أجنبية على أى وطن إسلامى بقصد احتلاله، أو احتلال جزء منه أو بأى سبب آخر - فرض على مسلمى هذه البلد فرضا عينيا أن يجاهدوا ويقاتلوا لدفع هذا العدوان، وعلى أهالى البلاد الإسلامية الأخرى مشاركتهم فى دفع هذا العدوان، ولا يجوز مطلقا الرضا إلا بجلاء المعتدى عن جميع الأراضى. "

وكل من قصر فى أداء هذا الواجب يعتبر خائنا لدينه ولوطنه وبالأولى كل من مالأ عدو المسلمين وأيده فى عدوانه بأى طريق من طرق التأييد يكون خائنا لدينه، فإن الاعتداء الذى يقع على أى بلد من البلاد الإسلامية اعتداء فى الواقع على جميع المسلمين.

والخيانة للوطن من الجرائم البشعة التى لا تقرها الشريعة الإسلامية، والتى يترك فيها لولى الأمر أن يعاقب من يرتكبها بالعقوبة الزاجرة التى تردع صاحبها، وتمنع شره عن جماعة المسلمين وتكفى لزجر غيره.





ولـــم تحـدد الشريعــة الإسلامية هذه العقوبة وتركت لولى الأمر تحديدها. شأنها فى ذلك شأن كل الجرائم السياسية. فقد جاء فى الجزء الثالث من ابن عابدين ما نصه والجهاد فـرض عين إن هجم العدو. فيخرج الكل، أى أن دخل العدو بلدة بغتة. "وهذه الحالة تسمى النفير العام وهو أن يحتاج إلى جميع المسلمين"

ولا أعلم مخالفا لذلك من المسلمين ونصت الآية الكريمة على وجوب قتال الكفار إذا قاتلوا المسلمين وبدؤوهم بالعدوان، قال الله تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (١٩٣) [البقرة]

وقد نهى القرآن عن اتخاذ أعداء المسلمين أولياء. قال الله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) (٢) [الممتحنة]

وحكم هذه الآية كما ينطبق على المشركين الذين أخرجوا الرسول من بلده ينطبق على كل طائفة غير مسلمة تهاجم بجيوشها دارا من ديار الإسلام[١].

والله أعلم.

(١) فتاوي دار الإفتاء لمدة مائة عام، الموضوع (١٠٥٣)، خيانة الوطن.

مقال
عالم
أسير

أهمية العمل وتـــرك العجـــز

د. محمد موسى الشريف (فك الله أسره)

" إن العمل على رفعة دين الله والتمكين له في الأرض أمر جليل عظيم، وهو عمل الأنبياء والمرسلين والمصلحين، في قافلة نورانية طويلة من لدن آدم حتى تقوم الساعة، وإن الملتحق بهذه القافلةِ لحائز على شرف عظيم، والمتخلف عنهم قد فاته خير كثير. "

والله تعالى يكافئ العاملين مكافأة عظيمة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيثبتهم وينصرهم، ويربط على قلوبهم ويثبتهم، وينير دربهم، ويطرد وساوس الشيطان عنهم.

قال تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[1].

وأما في الآخرة فإن الدرجات العاليةَ مقصورة عليهم، ومرافقةَ الأنبياء مكافأة لهم، وتكرر النظر إلى وجه الله الكريم أعظم نعيم يتنعمون به في الجنة.

وينبغي أن يُعلم أن العامل إنما يعمل لنفسه كسباً للحسنات ورفعة في الدرجات، والعاجز إنما جنى على نفسه تفريطاً في الحسنات ودنواً في الدرجات.

قال الله تعالى : (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)[٢].

والعامل يكافئه الله تعالى ويرى نتيجة عمله ويبشر بها في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[٣].

والعاجز يظل حياته بين كسل وملل، ووساوس وشبهات، واعتراضات وانتقادات حتى يدركه الموت وهو على ذلك.

" والعامل هو الذي يملي على التاريخ ما يسطره، ويرغمه أن يفسح صفحات من أسفاره لكتابة سيرته وتسطير مآثره، أما العاجز من الثقات فإنه يعيش على هامش التاريخ لا يعرف كيف يقرأ أحداثه ويستفيد منها بله أن يؤثر فيها، يظل قابعاً في مكانه حتى يأتيه الموت لا يعرفه أحد ولا تبكي عليه السموات والأرض. "

والناظر في أحداث التاريخ منذ آدم عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا فإنه يجزم أن لا مكان فيه للعاجز القابع، وأن الثقات العاملين في سباق وتنافس للوصول إلى الغاية العليا وهي رضى الله تبارك وتعالى.

وسأذكر جوانب توضح مدى أهمية استغلال العمر الذي نعيشه في دنيانا، وأنه إن غفلنا وعجزنا عن استثماره فسيفوتنا خير كثير كثير.

الناظر في أحوال المسلمين اليوم يقدر أن أكثر الصالحين العاملين لم يلتزم طريق الصلاح ويفقهه إلا في حدود سن العشرين، تقل قليلاً أو تزيد قليلاً، ومعنى ذلك أنه قد فات عليه ثلث عمره تقريباً فلم يستفد منه الاستفادة المرجوة، وهذا بناء على حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين)[١].

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم: آية ٧.

(٢) سورة الروم : آية ٤٤.

(٣) سورة التوبة: آية ١٠٥.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب ما جاء في أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى سبعين، وهو حديث حسنه الحافظ الترمذي والحافظ ابن حجر، انظر (تحفة الأحوذي): ٦/٦٢٣-٦٢٤.



وهذا مشاهد ملحوظ، فلنفرض جدلاً أن رجلاً صالحاً من الناس سيعيش ستين سنة في هذه الدار، إذا لا يتبقى من عمره إلا أربعون، وهذه الأربعون تمضي كالتالي، وهو الغالب، ولكل ما ذكرته أو سأذكره في هذه الفقرة استثناءات لا تشوش على الأصل:

أولاً: يمضي ثلثها في النوم، وهذا ديدن أكثر الناس، وهناك أناس ينامون اثنتي عشرة ساعة في اليوم - والعياذ بالله - أي نصف حياتهم، وهناك من ينام أقل من ثمان ساعات وهذا قليل.

ومعنى هذا أنه قد نقص من الأربعين ثلاثة عشرة عاماً ونيف.

ثانياً: يمضي ثلثها في العمل، وهذا للمعتدل أيضاً؛ إذ بعض الناس يعملون عملين أو أكثر، وعلى هذا أي عَمَلُ ثلث الوقت ينقص من الأربعين ثلاثة عشر عاماً أخرى ونيفاً.

ثالثاً: وعلى هذا التفصيل السابق يتبقى للإنسان الذي يعيش ستين عاماً ثلاثة عشر عاماً تقريباً فقط يقضي فيها فرائضه الدينية وشؤونه الدنيوية من زواج ورعاية أولاد، وزيارة أقارب وأصدقاء، وطعام وشراب، وذهاب إلى أماكن النزه والأسواق ... إلخ. فكم يتبقى له للتنافس مع المتنافسين في شؤون الآخرة والتسابق إلى نعيمها؟

لهذا كان السلف يقلِّلون ساعات النوم والعمل وقضاء الحاجات حتى يتوفر لهم وقت أكبر بكثير مما ذكرته، والله أعلم.

وسيرة الإمام النووي[١] رحمه الله - تعالى - سيرة عطرة عظيمة تصلح للتمثيل على حال سلفنا في استغلال الزمان في الأعمال الصالحة وعلى تقليلهم الطعام والشراب والعمل والنوم حتى يتبقى لهم أوقات عظيمة يستثمرونها في طاعة الله تعالى.

لما انتقل رحمه الله تعالى من بلدته نَوَى إلى دمشق اجتهد في مسابقة الزمان، حيث ظل سنتين كاملتين لم يضع جنبه على الأرض بل ينام متكئاً على كتبه[٢]، ولم يزل يشتغل بالعلم، ويتعبد العبادة العظيمة من صلاة ليل وصيام دهر مع الزهد والورع بل التزام دقائق الورع، وعدم إضاعة شيء من الأوقات، فقد كان يدرس كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه، وضُرب به المثل في إكبابه على طلب العلم ليلاً ونهاراً، وهجره النوم إلا من غلبة، وضبط أوقاته.

وكان يقول: (إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه) [٣].
وقد قدم له رجل من أصحابه خيارة مقشرة فامتنع من أكلها وقال: (أخشى أن ترطب جسمي فأنام) [٤].

" وكان لا يأكل في اليوم والليلة سوى أكلة واحدة بعد عشاء الآخرة، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر [٥].
و (كان يأكل من خبز يبعثه له أبوه من نوى يخبزونه له ويسيِّرون له ما يكفيه جمعة فيأكله، ولا يأكل معه سوى لون واحد، إما دبس وإما خل وإما زيت، وأما اللحم ففي كل شهر مرة، ولا يكاد يجمع بين لونين من إدام أبداً) [٦]. "

---

(١) يحيى بن شرف بن مري، مفتي الأمة، شيخ الإسلام، محيي الدين أبو زكريا النووي، الحافظ الفقيه الشافعي، أحد الأعلام، ولد سنة ٦٣١ بـ (نوى) إحدى قرى حوران شمال الشام، وقدم إلى دمشق فاجتهد في الاشتغال بالعلم، وصنف مصنفات نفع الله - تعالى - بها المسلمين واشتهرت وجلبت إلى الأمصار، توفي بـ (نوى) سنة ٦٧٦ عن ٤٥ سنة فقط رحمه الله تعالى، انظر ((فوات الوفيات)): ٤/٢٦٤-٢٦٨((الأعلام)): ٨/١٤٩-١٥٠.
(٢) ((المنهل العذب الروي)): ٣٩.
(٣) المصدر السابق: ١١٥.
(٤) المصدر السابق: ١٢٠.
(٥) المصدر السابق: ١٢١.
(٦) المصدر السابق.

وبالجملة فقد كان عديم (الرفاهية والتنعم، مع التقوى والقناعة والورع الثخين، والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك رعونات النفس... قليل الضحك، عديم اللعب، بل هو جدُ صرف، يقول الحق وإن كان مراً، لا يخاف في الله لومة لائم)[1].

أرأيت - أخي القارئ - كيف يستفيد الصالحون من زمانهم بل يسابقونه، مسابقة، وما ذاك إلا لأنهم عرفوا قيمة الزمان وقصره فاستفادوا منه أحسن استفادة.

وقد اكتفيت ببعض سيرة الإمام النووي مثالاً لما أردت إيراده، وفي السلف عشرات من أصحاب الهمم أمثاله، رحمهم الله تعالى جميعاً.

وأورد مثالاً قريباً منّا، وهو الشيخ البشير الإبراهيمي الجزائري، فقد عكف منذ بلغ السابعة على القرآن فحفظه، ثم حفظ كثيراً من المتون في الأصول والحديث، واللغة والبلاغة، ودواوين الشعر، وتصدر للأستاذية منذ بلوغه الرابعة عشر من عمره، وارتحل إلى مصر والحجاز وبلاد الشام واغترف من بحور علمائها، خاصة في المدينة المنورة حيث وضع دعائم جمعية علماء المسلمين الجزائريين هو والشيخ ابن باديس، وكان ذلك سنة ١٩١٣ ، ثم لم تنشأ إلا في سنة ١٩٣١ لتكون شوكة في حلوق الفرنسيين، وكان قد تصدر للتدريس في وهران إحدى مدن الجزائر الكبيرة حيث كان يلقي عشر دروس في اليوم الواحد من صلاة الفجر إلى العشاء، ثم ينقلب إلى بعض النوادي الجامعة بعد صلاة العشاء ليلقي محاضرات في التاريخ الإسلامي، وبنى بهمته ٤٠٠ مدرسة إسلامية ومائتي مسجد للصلوات والمحاضرات مما أفزع المستعمر فنفاه إلى الصحراء، ثم عاد من منفاه ليرأس جمعية العلماء بعد وفاة ابن باديس فحمل المهمة الضخمة، وواصل الليل بالنهار دون نوم في أحيان متعددة، وبعث الهمة في أبناء الجزائر، وبنى المعاهد والمدارس التي كانت تقدم جنود الاستقلال بعد ذلك، ورأى ثمرة جهاده استقلالاً للجزائر سنة ١٩٦٢ ليحلق بربه راضياً سعيداً سنة ١٩٦٥، رحمه الله تعالى[2].

" نعم قد يقال إن الإسلام دين شامل؛ فالعمل عبادة، والنوم بنية صالحة عبادة، وهذا صحيح لكنني أردت في هذه الفقرة بيان قصر الزمان، وقلة المتبقي منه - بعد قضاء الحاجات الإنسانية من عمل ونوم للتنافس على الدرجات العالية، وذلك لأن النية الصالحة قد يشترك فيها أكثر الناس، لكن الاستفادة الحقة من الأوقات قد يغفل عنها أكثر الثقات، والله المستعان. "

---

* مقال مقتطف من كتاب عجز الثقات، ص٢١ وما بعدها، ط: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٩٨.

(١) المصدر السابق.

(٢) ((النهضة الإسلامية)): ٢٥١/١ – ٢٦٨ بتصرف كثير.

القوة المفترى عليها

د. مجدي شلش

أصبح اللفظ مقهوراً ومظلوماً من بعض أبناء القرآن والسنة، إذا ذُكر أمام البعض من أبناء الحركات الإسلامية فهو مرادف العنف والإرهاب، بل البعض يهدد من يستعمل اللفظ بالويل والثبور وعظائم الأمور.

مصطلح قرآني ونبوي شِئنا أم أبينا، التنصل منه رغباً أو رهباً لن يهدمه أو يقلل من شأنه، سواء بمعناه الأخص وهو القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، أو الأعم وهو كل ما تعنيه كلمة القوة .

الواقع الآن ظاهر أمام الكل، حيث لا سياسة ولا حرية ولا معارضة، ولا مصالحة، الكل مغلق أمام الكل، وبالرغم من ذلك ترى البعض يستخدم لفظ المعارضة، وترك لفظ الثورة، وأصبحت قنواتنا الفضائية قنوات معارضة، وكأن في مصر سياسة.



بعض المتصدرين من السياسيين وغيرهم، نسي أو تناسى لفظ الثورة، وعبر عن نفسه بالمعارض، وكأن في مصر حرية ونظاماً منتخباً بطريقة شعبية، تقابله معارضة لبعض سياساته أو أهدافه، إنها الخديعة للذات، وتسمية الأشياء بغير معناها الحقيقي وهذا هو التدليس والتخريف بعينه.

منتهى أمل الانقلابيين وقت عنفوان الثورة أن تتحول إلى جو سياسي شكلي تديره المخابرات من تحت المنضدة، ونجحوا في ذلك، من بداية التعديلات الدستورية حتى الانقلاب الخشن الذي أتى علي السياسة والثورة معاً.

البديل هو العنف أو القتل أو نموذج سوريا او العراق أو اليمن! هذه مقولة البعض، ثنائية بغيضة إما أن تستسلم وتُقتل ونسميك بالشهيد ولك أجرك عند الله، وإما أن تُوصف بالعنف أو الإرهاب أو استحلال الدماء، عقول قاصرة، وقلوب جعلت من الأقزام جبالاً وكباراً، وخشيت الناس أشد خشية من الله.

ينبت البقل والقُمَّل في جدار هذا الواقع الأليم، ويستخدم لفظ القوة بغير معناه الصحيح، لأن أصحاب العقل والرشد تخلوا عن معناه الصحيح، فأصبح اللفظ نهباً لكل ناعق، أو زاعق، وما داعش المصنوعة بأيدي الأعداء عنا ببعيد.

العيب ليس في مصطلح القوة، إنما العيب لمن ترك الميدان تلعب فيه الغربان، وتشوه صورة المصطلح أمام الناس، حتى يكون محلاً للغربة والنفور والاشمئزاز.

القوة التي أقصدها ليست محصورة في قوة الإيمان، وإن كانت هي الضابط والأساس لكل قوة تأتي بعدها، وليس قوة الوحدة والارتباط، وإن كانت فريضة وضرورة حتى لا يتصدع البنيان من داخله، وإنما قصدت بها كل مشتملاتها، والتي منها قوة الساعد والسلاح.

بنيان فريضة القوة ليس متوقفاً على وجود عدو من الأصل، فهي مطلوبة حالة السلم والأمن أكثر من حالة الظلم والقهر، القوة أمان من غدر الخائن، وحقد الصائل، وكبر المستبد، إن لم تكن قوياً أكلك الضغفاء والحثالة من البشر، القوة في ذاتها تحدث حالة من توازن الخوف بين الأشقاء والأعداء سواء بسواء.

نعم محاذير القوة كثيرة، لكن شبابنا الذي اتهم من أقرب الأقربين بالعنف والإرهاب، وبالتصفية من البغاة والخوارج من الانقلابيين المحتلين، أكثر وعياً وإدراكاً لحقيقة الصراع من كبار رضوا أن يكونوا مع الخوالف، وعيشاً ذليلاً تحت وطأة وأقدام الطغاة.

السياسة هي الحل الأوحد مقولة في نظري أعطت الغطاء للبغاة أن يكونوا أشد بغياً وطغياناً، وللخوارج أن يكونوا أشد عبثاً بمقدرات الأمة وقتلاً لشبابها وعلمائها، وسجناً لشيوخها ورجالها ونسائها.

"كن عبد الله المقتول يا أخي ولا تكن عبد الله القاتل"، مقولة تشبه كلام (المداخلة) الذين يعظمون الحكام من دون الله، تُلقى بغير وعي ولا فقه ولا علم، فهذه المقولة إن صحت في حالة إلا إنها ليست قانوناً عاماً في حكم الأفـراد والمجتمعات والدول، وإلا لضاعت الحقوق، وترسخ الظلم باسم الدين، وهذا نتيجة الإفتاء بغير علم للتعميم في حالة التخصيص والعكس.

"نفدي الأمة بدمائنا وأعراضنا وأموالنا حتى لو قتلنا جميعاً"، كلام ينسبه البعض للإمام البنا رحمه الله ورضى عنه، وكأننا نعيش ليقتلنا الطغاة والمستبدون، ونحيا لنذبح ونُسلخ على يد الجزارين الانقلابيين، كلام يؤدي معناه الظاهري إلى ترسيخ الاستبداد وعلو الطغاة، وأدبيات الأستاذ البنا رحمه الله كثيرة وواضحة في بنيان فريضة القوة كفريضة الأخوة.

"القتال ما شُرع إلا لجهاد الكفار وهؤلاء عصاة لا يجوز قتالهم"، كلام لا يصدر إلا عن جاهل بالشريعة، الأصل في الجهاد أنه لم يشرع لحقيقة الكفر، وإلا كان كل كافر بالله وجب قتله وهذا باطل بيقين، إنما فكرة الجهاد أسست على الظلم والطغيان والاستبداد، وقع من الكفار أو من البغاة أو من الخوارج أو من الذين حاربوا الله ورسوله أو من صال ضد الأمن والأمان.

- حالة من التلبيس والتدليس تمرر في واقع صعب أليم باسم الدين والمصلحة أو اجتهاد البعض، وهو ليس من أهل الاجتهاد، نعم استعمال القوة بكل مفرداتها له زمنه ورجاله وإعداده، قد لا تكون موجودة الآن، وهذا من باب السياسة والمصلحة في اختيار الوقت المناسب والأشخاص الجديرة للمهمة، لكن لا تشوهوا المصطلح من أساسه، وتلغيه من قاموسك، فهذا عدوان عليه أو تفريغ لمضمونه.



- **القوة ليس معناها استباحة الدماء لكل معارض أو مشاكس، إنما قوة الحماية التي تجعل عدوك وصديقك يحسب لكل ألف حساب عند العدوان عليك، أو على مقدرات الأمة، أو على اختيارها، أما أن تترك نفسك لأبناء اللقيطة والسقيطة لينالوا من شرفك وعرض ودمك فأنت مريض بالدنيا وهواها ودناياها.**

أعلم أن الأمر ليس هيناً وليس فيه دعوة للتهور إنما كل ما أقصده أن لا نفتري على الله الكذب بعلم أو جهل، فهذا من أكبر الكبائر، ونقول السياسة هي الحل الأوحد، نعم أنا معك لو كان هناك ثقب إبرة تحقن به الدماء لوجب علينا النفوذ منه للحل، أما وإن الطرق كلها قد سدت، فاجمع أهل الحل والعقد لحل آخر ولا تستبعد خياراً مشروعاً من دين وقانون وعقل ومنطق صحيح .

"انتظار الفرج عبادة"، و"الصبر على البلاء أو الابتلاء فريضة، والنصر واقع لا محالة، كلها كلمات طيبة وصحيحة لكن مع الجد والعمل والأخذ بالأسباب، فليس هناك نصر لا يمهد له بحق وقوة، وليس هناك ثواب على صبر معناه الاستسلام والركون إلى الذين ظلموا واستجداء العيش معهم بأي حياة، والفرج يأتي مع النشاط وجمع الجهود وتأليف القلوب، لا مع التثبيط والتبريد.



نعم دخول معارك غير محسوبة خلل وانحراف وتهور، وترك الميدان والاكتفاء بالكلام والسياسة خديعة وتدليس، خطابي للأمة كلها وقد شبت بالإسلام قوية، وقويت بالإيمان فتية، وتحرر كثير من أبنائها من عبادة الحكام والزعماء والأشخاص، وأصبح ميدان العمل واسعاً، وفرص النجاح مع الجهد والإخلاص قريبة، {ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبًا}.

استعمال القوة لا يحدده أفراد مهما كانوا، ولا بعض الجماعات حتى ولو بالأعداد قد كثروا، ولا بعض القادة وإن عقلوا وفهموا، إنما تحدده مؤسسات حقيقية شورية درست الواقع وأبعاده الداخلية والخارجية، لسنا في نزهة من الوقت، العدو لا ينام، وهو يألم كما نألم وأشد؛ لأنه لا يرجو من الله ما نرجوه ونحب.



الأكذوبة الكبرى (3)

د.عطية عدلان [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لم أشهد فيمن كتبوا في الفكر السياسي الغربي دجالاً مثل (فوكوياما) في كتابه ذاك المسمى (نهاية التاريخ)، انظر إليه وهو يجدف بعبثية ووحشية؛ محاولاً إثبات أنّه إذا كان التقدم الفيزيائي أدى إلى الليبرالية الرأسمالية؛ فإنّ التقدم الاقتصادي الناتج عن هذه الليبرالية الرأسمالية قد أنتج الديمقراطية الليبرالية![2]. وانظر إلى الأنكى من ذلك وهو محاولته طوال كتابه الذي طال كليل المتضورين جوعاً بسبب تلك الرأسمالية الليبرالية؛ حيث قام باستقراء للساحة الدولية يعيبه الكثير من السطحية والعجلة لينتهي إلى الزعم الذي تقيأه مداداً في قراطيس، وهو أنَّ الديمقراطية الليبرالية هي نهاية التاريخ وهي المنهج المثالي للإنسان الأخير!

عجباً لهذا الرجل ولمن يقرأ كتابه ثم لا يمزقه في وجهه! ألا يرون العالم يصرخ خوفاً على الديمقراطية من الرأسمالية؟! لقد بات جلياً أنَّ الخطر الأكبر على الديموقراطية ليس إلا الرأسمالية النيوليبرالية، "إنَّ عالماً فيه رئيس أمريكي يصدر القانون تلو القانون المحابي لمصالح الشركات الكبرى، ولروبرت ميردوخ فيه سلطان أقوى من سلطان توني بلير، وتضع الشركات الكبرى فيه الأجندة السياسية، إنما هو عالم مخيف وغير ديمقراطي"(٣)؛ فأين هي الرأسمالية التي تنتج ديمقراطية؟ ألم يتعرفوا على الطريقة التي يفكر بها المنظر الأول للنيوليبرالية والسوق الحرة والعولمة؟ انظروا إلى (ديمقراطيته!) المتجلية في كتاباته؛ حيث يقول بوقاحة: "وبذا يتضح تماماً أنّه من الممكن أن تقوم نظم اقتصادية رأسمالية بالدرجة الأولى في ظل نظم سياسية غير حرة"(٤)، وهذه الوقاحة ذاتها فلسفة ومنهج لدى هؤلاء جميعاً؛ بها قرروا أنَّ: "النظريات الرأسمالية تؤكد أنَّ تأثير المال أمر ديمقراطيّ في آخر تحليل؛ إذ إنَّ جميع الناس يستطيعون في ظل نظام التنافس أن يحصلوا على الثراء وأن يمارسوا به تأثيراً سياسياً، فذلك معنى الكلمة التي قالها (غيزو) رداً على أولئك الذين كانوا يعيبون على الأغنياء أنَّهم يحتكرون السلطة السياسية: (عليكم بالاغتناء)"(٥).

لقد غدا العالم كله منزعجاً مرتعداً يجري ويتلفت، وباتت الشعوب الغربية قبل غيرها تتقلب في براكين القلق على دولة الرفاه، والصحف تكتب عن مستقبل يتوجب على الناس أن يتهيأوا له بشد الأحزمة، ويطلق المفكرون والحقوقيون صفارات الإنذار "ويحلل العالم المختص بشئون المستقبل (جون نايزبت) واقع المجتمعات الصناعية، ويتوصل إلى نتيجة مفادها أنَّ عصر المجتمعات الصناعية وما أفرزه هذا العصر من مستوى معيشيّ مرتفع لجمهور المجتمع ليس سوى حدث عابر في التاريخ الاقتصادي"(٦) كل هذا والسيد (فوكو) يبشرنا بأن سفينة الإنسانية سوف ترسو على شاطيء السعادة والرخاء: الليبرالية!!

---

(١) نُشرت المقالة الأولى والثانية من هذه السلسلة في العددين: الثاني عشر والثالث عشر.

(٢) راجع: نهاية التاريخ والإنسان الأخير - فرنسيس فوكوياما - ترجمة فؤاد شاهين وآخرين - مركز الإنماء القومي - لبنان ط١٩٩٣م صـ١٢٤-١٣٦

(٣) السيطرة الصامتة - الرأسمالية العالمية وموت الديمقراطية - نورينا هيرتس - ترجمة صدقي خطاب - عالم المعرفة عدد 633 - ط 7002م ص١٩

(٤) الرأسمالية والحرية - ميلتون فريدمان - ترجمة مروة شحاتة - كلمات العربية للترجمة والنشر - ط أولى ٢٠١١م - صـ ٣٢.

(٥) مدخل إلى علم السياسة - موريس دوفرجيه - ت: سامي الدروبي وجمال الأتاسي - دار دمشق - القاهرة - بدون تاريخ - صـ١٧٤.

(٦) فخ العولمة .. الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية - تأليف: (هانس بيتر مارتين ، هارالد شومان) - ترجمة: د. عدنان عباس علي - كتاب "عالم المعرفة" عدد ٢٣٨ سنة١٩٩٠م صـ٢٥.



الحقيقة الواقعية هي أنَّ الديمقراطية في خطر حقيقيّ "وبالنظر إلى ما هو راهن وإلى الإرهاصات المستشرفة لما سيكون؛ يتأكد أنّ المشروع النيوليبراليّ لا يهدف إلى تحرير الإنسان، بل إلى تحرير الرأسماليّ الاقتصاديّ من كل قيد، بما فيه قيد القيم، وتحجيم سلطة الدولة لتتصرف القوة الاقتصادية كما تشاء، ومن هنا فإنَّ النيوليبرالية ليس فيها شيء (نيو) "أي جديد"، بل هي رؤية تسعى لاستعادة البداية المتوحشة للنظام الرأسماليّ خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر؛ حيث كان للرأسمال كل الحق في طحن المعادن والبشر على حدٍّ سواء؛ من أجل نفخ حافظة النقود، فإطلاق السوق يقترن في التنظير النيوليبرالي مع مقولات لا إنسانية من قبيل ما يشيع في الخطاب النيوليبراليّ اليوم من أنَّ: (مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء أصبحت عبئاً لا يطاق) و (أنَّ دولة الرفاه أصبحت تهدد المستقبل، وأنَّها كانت مجرد تنازل من جانب الرأسمال إبان الحرب الباردة، وأنَّ هذا التنازل لم يعد له الآن ما يبرره بعد انتهاء هذه الحرب) والقول: (بأنَّ شيئاً من غير المساواة بات أمراً لا مناص منه)"[٧].

فوكوياما

وليس في قلوب هؤلاء الذين سقطت الديمقراطية بكل أحلامها في أكفهم مثقال ذرة من رحمة، لو استطاعوا أن يبيعوا البشر قطع غيار لكائنات من كواكب أخرى لفعلوا ولما تورعوا، انظر إليهم وهم يستغلون قوت الناس كسلاح استراتيجي يضربون به الأنظمة التي لا تعمل بمبدأ حرية السوق: "ويمضي (براون) في حديثه قائلاً: قبل أيام قليلة التقى في واشنطن العاصمة خبراء في الزراعة والمناخ، وكذلك خبراء مختصون في تحليل ما تبثه الأقمار الصناعية من صور، وبعد أن وصل الجميع إلى ردهة تقع في الطرف الجنوبيّ من وزارة الزراعة الأمريكية أقفل أحد الحراس المسلحين باباً حديدياً سميكاً من خلفهم، وكانت الاتصالات الخارجية سواء بأجهزة التليفون أو بأجهزة الكمبيوتر قد فصلت عن القاعة التي فيها الخبراء، كما أسدلت الستائر بحيث لم يعد بإمكان أحد رؤية العالم الخارجيّ، وهكذا وفي عزلة تامة عن العالم الخارجيّ راح المجتمعون على مدى ليلة كاملة يمعنون النظر بفيض المعلومات المستقاة من المجالات المختلفة ويقارنون بعضها بالبعض الآخر، وكان هذا اللقاء الذي يذكر المرء بأساليب أجهزة المخابرات وبأفلام المافيا يتمحور حول سلاح من المحتمل أن يستخدم في سنوات معدودة من غير هوادة، إنَّه الاحتياطيّ العالميّ من الحبوب"[٨].

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ حتى تصبح كل مكتسبات الشعوب في ثوراتها التي دفعت فيها أعزّ ما لديها من المهج والأرواح ثم بسطت الديمقراطية يمينها عليها وضمتها إليها وعَدَّتها كذباً وزوراً من ثمراتها؛ تصبح في مهب الرياح العاتية، فجميع الحريات وجميع الحقوق السياسية والمدنية، بل وحق الحياة، صارت كلها مهددة في ظل الرأسمالية النيوليبرالية الحليف القديم الجديد للديمقراطية، فانظر كيف تراجعت في أمريكا حاملة لواء حقوق الإنسان جميع حقوق الإنسان؟! لقد قام جورج دبليو بوش (وعائلة بوش إحدى العائلات التي بينها وبين الشركات العملاقة عقود وعهود) بتجديد في سياسة أمريكا بل وقوانينها تجاه الإنسان و"تجسد التجديد الحقيقي الذي قامت به إدارة بوش في الاستعانة بمصادر تعذيب داخلية، مع خضوع السجناء للتعذيب على أيدي مواطنين أمريكيين في سجون تديرها الولايات المتحدة الأمريكية، أو نقلهم المباشر من خلال عملية نقل استثنائية إلى بلدان العالم الثالث على متن طائرات أمريكية؛ هذا ما يجعل نظام جورج بوش مختلفاً بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر حيث تجرأ النظام على المطالبة بحق التعذيب بدون حياء؛ الأمر الذي جعل الإدارة عرضة للمقاضاة الجنائية، ... إنّ سلسلة الأحداث واضحة جداً، فقد عمد وزير الدفاع دونالد رامسفيلد بتفويض من جورج بوش إلى سن قانون يعتبر السجناء المأسورين في أفغانستان غير خاضعين لاتفاقية جنيف؛ باعتبارهم مقاتلين معادين"[٩].

قد يبدو للقارئ أنني أنتقد الرأسمالية بدلاً من الديمقراطية، وهو معذور في هذا، لكنني في الحقيقة أنتقد الديمقراطية من خلال هذا؛ لأكثر من سبب، أهم هذه الأسباب أن التحالف بين الأنظمة السياسية وبين الشركات العابرة للقارات تحت رعاية الديمقراطية واضح غاية الوضوح، وأمثلته على ذلك أكثر من أن تحصر، ولم يكن ريجان ولا مارغريت تاتشر اللذان سهّلا ويسّرا في ثمانينات القرن المنصرم وما بعده عملية التحول من الديمقراطية ذات المضامين الاجتماعية إلى النيوليبرالية والسوق الحرة ورفع يد الدولة تدريجياً عن الأنشطة الاقتصادية؛ لم يكونا أصحاب شركات عملاقة، وإنما كانا على قمة هرمي الحكم في أعتى دول الديمقراطية أمريكا وبريطانيا، ولقد صار مفضوحاً ما كان بين جورج دبليو بوش والرأسمالية من تعاون وتواطؤ لم يقف عند حدّ اختراع الحروب لتسويق السلاح حتى تعداه إلى الجذور؛ فلم يعد غريباً أن يقال: "ربما خسر جورج دبليو بوش في صندوق الانتخابات ولكنه ربح فيما يمكن الاعتماد عليه... سار الابن المحظوظ مباشرة نحو البيت الأبيض على خنزير محشو بما يقارب نصف مليار دولار... إنهم يدعونها انتخابات، ولا يبدو إلا أنها أكثر شبهاً بالمزاد"[١٠].

---

(٨) فخ العولمة، مصدر سابق، ص17.

(٩) عقيدة الصدمة "صعود رأسمالية الكوارث" - نعومي كلاين - ترجمة نادين خوري - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت لبنان ط الثالثة ٢٠١١ م - ص ٦٨

(١٠) أفضل ديمقراطية يستطيع المال شراءها - غرين بالاست - الدار العربية للعلوم - ترجمة مركز التعريب والبرمجة - ط أولى ٢٠٠٤م – ص ٩١.



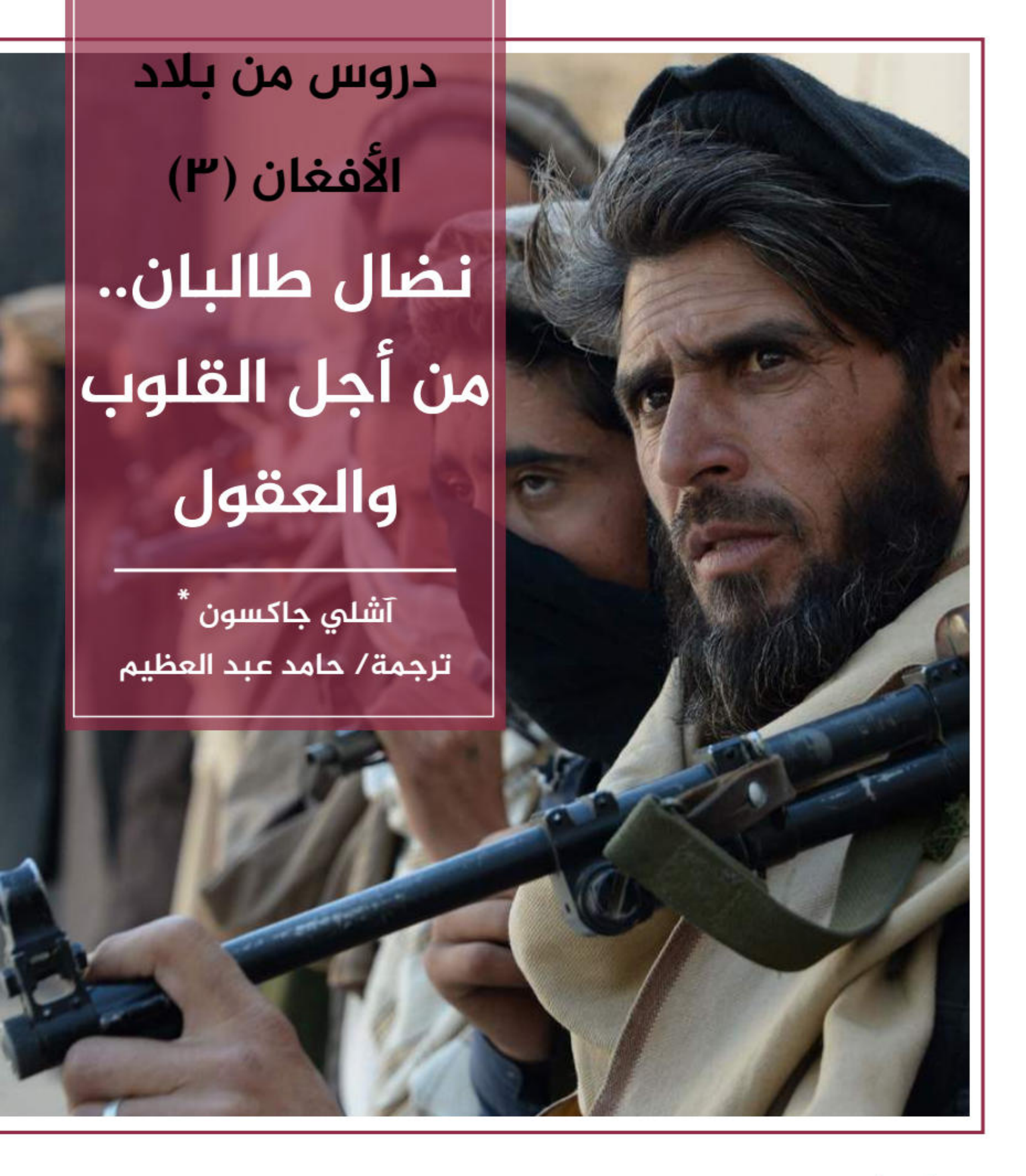
إنَّها لعبة كبيرة وأكذوبة كبرى، فالذي يملك تمويل الأحزاب والانتخابات هو الرأسمال؛ فهو إذن من يعين الحكام ولو بدا في ظاهر الأمر أن الناس يختارونهم، والذي يموّل الإعلام الذي يصنع الرأي العام هو الرأسمالي؛ فهو إذن من يصنع القرار الذي يخرج به الحكام على الناس، وإن بدا الأمر على غير ذلك الوجهه، ولم يعد خافياً على أحد أنّ: "وسائل الإعلام الرأسمالي تقوم بدور هو عكس الدور الذي توجبه المصلحة العامَّة"[١١].

وإنَّ ما سعدت به الشعوب الأوربية من رفاه منغص وحريات مشوهة هو ما تبقى لها مما اكتسبته بثوراتها وبدماء الشهداء من أبنائها وظلت تحرسه طوال هذه العقود المتطاولة، وإنَّ التحالف بين الديمقراطية والرأسمالية هو في حقيقته الثورة المضادة التي ترخي مَوجها تارة وترفعه تارة أخرى لتفوت غضبة الشعوب وتسلم من شبح الثورات، أما الآن فالتحالف هذا على يقين من أن الشعوب لم تعد قادرة على أن تثور في وجه الدولة التي تغولت واحتكرت كل أدوات الإكراه الجبارة، ولعل التآمر على ثورات الربيع العربي جزء منه لمنع عدواها التي أوشكت أن تنتقل من القاهرة إلى قلب أمريكا حيث هتف الجمهور: "احتلوا وول استريت" على وزن: "اهدموا الباستيل".

وإننا وشعوب العالم كله لنقف في خندق واحد ضد الاستبداد الذي يعشش تحت عباءة الديمقراطية، {وَاللَّهُ غَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

---

(١١) مدخل إلى علم السياسة، مصدر سابق، صـ ١٨١.



دروس من بلاد الأفغان (٣)

نضال طالبان.. من أجل القلوب والعقول

آشلي جاكسون *

ترجمة/ حامد عبد العظيم

"تتمثل الاستراتيجية الجديدة للمسلحين في إخراج إدارة كابول المدعومة من الولايات المتحدة من السلطة، وهي استراتيجية تعمل جيداً".

---

* آشلي جاكسون، باحثة مشاركة بمعهد التنمية لما وراء البحار، مختصة بالشأن الأفغاني، وقد نُشر المقال في فصلية مجلة فورين بوليسي وعلى موقع المجلة الرسمي بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠١٨ م، رابط إلكتروني. [المترجم]

من نواحٍ عديدة، تبدو (تشارخ)[1] كنموذج لمنطقة أفغانية ريفية، قليل من التنمية أو الصناعة للتحدث عنهما، تعدادها السكاني ذو الـ ٤٨٠٠٠ ألف نسمة يعيشون غالباً على الزراعة، فقر شائع، أولئك الذين يمكنهم العثور على وظائف أفضل في أماكن أخرى، يغادرون ويرسلون المال لمساعدة أسرهم.

لكن نظرة عن قرب إلى تشارخ تكشف عن تباعد بين ما يمكن أن يتوقعه المرء في منطقة أفغانية متوسطة، المسؤولون هناك يُنظر إليهم كعادلين ونزيهين، مما يجعلهم نشازاً في بلد يُصنف باستمرار ضمن أكثر الدول فساداً. السكان المحليون يقولون إن الجريمة قليلة بشكل لافت للنظر، النزاعات بين الجيران أو العائلات نادرة، وعندما تظهر يسويها حاكم المدينة أو القاضي بسرعة. يقوم مسؤول الصحة بمراقبة العيادات بانتظام للتأكد من حضور الأطباء والممرضين ووجود الأدوية. عبر مدارس المقاطعة، يظهر المعلمون الحكوميون بالفعل، وحضور الطلاب مرتفع، وهو أمر شاذ في نظام دولة ينتشر فيه الغياب.

على الورق، يمكن تفسير النجاح المفاجئ لـ(تشارخ) كدليل على أن إدارة الرئيس أشرف غاني المدعومة أمريكياً، قد طورت أخيراً شكلاً من أشكال الحكم الرشيد خارج العاصمة كابول. لكن في الواقع، لا تستحق الحكومة الأفغانية الفضل في (تشارخ)، فالمنطقة يحكمها حالياً "طالبان".

فالسلطات المحلية بحكم الأمر الواقع، من العمدة إلى القاضي الوحيد في المدينة، تأتي من صفوف طالبان، والبيروقراطيون العاديون، كالمعلمين وموظفي الصحة، قد فُحصوا واختيروا من قِبل "المتمردين"، حتى على الرغم من أن كابول لا تزال تدفع رواتبهم.

على الرغم من تضاعف مستوى القوات الأمريكية تقريباً، وارتفاع معدل الضربات الجوية على مدار العام الماضي، فإن طالبان تحتفظ بنفوذ كبير في مناطق شاسعة من المناطق الريفية في أفغانستان، وتعمل بكل جدية على طرد حكومة الوحدة الوطنية التي يقودها أشرف غاني والمعترف بها دوليًا.

---

(١) تقع منطقة تشارخ في الجزء الجنوبي من مقاطعة لوجار بأفغانستان. [المترجم].

إن الفكرة القائلة بأن حركة طالبان تسعى الآن إلى توفير حكم رشيد قد تثير السخط، نظراً (للقسوة الوحشية) لحكمها من عام ١٩٩٦ إلى عام ٢٠٠١. وخلال تلك السنوات، منعت النساء من الدراسة والعمل، وأعدمت عشاقاً صغاراً في ملاعب رياضية. ومنذ الإطاحة بالجماعة في عام ٢٠٠١، أدت هجماتها الوحشية إلى مقتل عشرات الآلاف من الأفغان، وفي عام ٢٠٠٩، ظلت طالبان تقتل المعلمين، وتحرق المدارس، وتهاجم عمال الإغاثة (٢) .

اليوم، تسعى حركة طالبان إلى تقديم نفسها كحركة سياسية شرعية، قادرة على إدارة الخدمات وحكم البلاد. وفي ظل انسحاب القوات الأمريكية والأفغانية لحماية المدن الكبرى - كجزء من استراتيجية واشنطن الجديدة - تملأ حركة طالبان الفراغ؛ فلم تعد طالبان مجرد تمرد غامض، إنها حكومة تنتظر الحكم.



وحتى يتسنى فهم التحول المفاجئ لطالبان، يتعين على المرء أن يعود إلى عام ٢٠١٤. وكان هذا عام سحب عشرات الآلاف من القوات الدولية، وقد عُرض ذلك على قادة طالبان مصحوباً بالمخاطر والفرص، وعلى كل حال هم قد واجهوا ظروفاً مماثلة من قَبل في عام ١٩٩٦ ، فخلال ذروة الحرب الأهلية استفادوا من الغياب الفعلي لأي شكل من أشكال السلطة المركزية للسيطرة على السلطة. لكن هذه المرة، أدركت قيادة طالبان أنه بدلاً من (مهاجمة المدارس الحكومية ومشاريع المساعدات)، يمكن أن تربح أكثر من خلال ضمها إليها؛ وعن طريق القيام بذلك تستطيع أن تحوز الفضل بتقديمها الخدمات وتُقنع السكان المحليين بمشروعها.

(٢) آثرت الإبقاء على مثل هذه الاتهامات الكاذبة وغيرها مما سيلحظه القارئ في ثنايا المقال دون حذفها، وذلك لمعرفة طريقة تفكير الكاتبة وخلفيتها الثقافية، التي تستقيها من وسائل الإعلام الأمريكية والأوربية التابعة للاحتلال، وهي أباطيل لا أساس لها من الصحة. [المترجم].

إن ما بدأ باعتراف تدريجي بأن العنف الجامح سيؤثر بالسلب على معركة طالبان للحصول على الدعم الشعبي، تطور بعد ذلك إلى بنية حوكمة متمرسة، بما يشمل إدارة المدارس والعيادات والمحاكم وجباية الضرائب وغير ذلك.

وقد بدأ أعضاء حركة طالبان المحليون بالتوصل إلى اتفاق غير رسمي لوقف إطلاق النار مع جنود الحكومة، من أجل تهدئة الصراع، وتزود جنود الحكومة نقاط التفتيش بالجند حتى المساء، وبعدها تتولى طالبان هذه المواقع حتى الفجر. أدى هذا التحول في استراتيجية طالبان إلى خلق تعايش سلمي نسبيًا -وإن كان غير مستقر تماماً- بين التمرد والحكومة في مناطق كانت في السابق من أكثر المناطق اضطراباً في البلد.

"كانوا قساة من قبل، لكنهم الآن يحاولون إظهار وجه مختلف". قال ذلك قائد سابق في طالبان بإقليم قندوز الشمالي، وأضاف: "رأوا أن عليهم إظهار استطاعتهم فعل كل شيء تستطيع الحكومة فعله، ولكن بشكل أفضل".

يُرجِع مقاتلو طالبان ومسؤولها الفضل في ذلك التحول إلى الملا أختر محمد منصور، فقد قاد منصور ببراعة الحركة عبر سلسلة من اللحظات المحورية:

- الزيادة المفاجئة التي بدأت أواخر عام ٢٠٠٩ ، عندما أرسلت واشنطن ٣٣ ألف جندي إضافي لتغيير الجهود الحربية الفاشلة إلى الأحسن.
- وفاة الملا محمد عمر عام ٢٠١٣ ، والذي أخفاها منصور كنائب له بشكل استراتيجي لمدة عامين.
- الانقسام عام ٢٠١٤.
- استقالة العديد من النواب الرئيسيين بمجرد تولي منصور رسميًا منصب الأمير - زعيم طالبان في عام ٢٠١٥.

قال أحد مسؤولي طالبان في إقليم هلمند الجنوبي: "لقد غير منصور تفكيرنا بالكامل، حول الحكم، وحول السلام، وعن كل شيء". حوّل منصور طالبان من تمرد غير مترابط إلى دولة ظل، وعزز الأجنحة العسكرية والمالية للحركة، محاولاً الابتعاد عن نظام الرعاية و التحول إلى نظام يركز على بناء المؤسسات، وأنشأ لجنة طالبان للتحقيق حول الضحايا المدنيين، إضافة إلى أنه عين الطاجيك والأوزبك في مجلس شورى طالبان، أو مجلس القيادة، موسعاً الحركة إلى ما وراء قاعدتها الباشتونية.

كان منصور يجهز الحركة للحياة بعد الحرب، وبدلاً من السعي إلى الانتصار التام عمل على إعداد طالبان لاتفاق مشاركة بالحكم. وكان من أشد المدافعين عن فتح مكتب لطالبان في قطر عام ٢٠١٣، ثم قاد طالبان بحذر نحو مزيد من الانفتاح على المحادثات.

في مايو/ أيار ٢٠١٦، قتلت الولايات المتحدة منصور في غارة بطائرة بدون طيار، لكن رؤيته استمرت، ميزتها الأساسية هي الطريقة التي تسمح لطالبان بنشر نفوذها دون تكبد أعداد كبيرة من الجثث، أو انخفاض الروح المعنوية التي تنتج عن المعارك الضارية.

عندما حاولت حركة طالبان الاستيلاء على مراكز المقاطعات والمدن الرئيسية - بما في ذلك مدينة قندوز الشمالية في عام ٢٠١٥ وعام ٢٠١٦ - دُفعوا بسرعة عن طريق الغارات الجوية والهجمات البرية المدعومة دوليًا. لذلك وبينما يواصلون مهاجمة المدن دورياً، كما فعلوا في الربيع الماضي في إقليم فرح الغربي وفي أغسطس/آب في إقليم غزنة الشرقي، فإن طالبان الآن تخصص موارد أقل لهذه العمليات، وتستخدمها لإحراج حكومة كابول أكثر من الاستيلاء على الأرض.

ينصب تركيز طالبان الجديد على توسيع سيطرتها بطريقة أكثر دقة. بالاعتماد على القسر وعلى سمعتهم في توفير الإنصاف والعدالة - وإن كانت قاسية -، لقد اكتسبوا موطئ قدم جديدة في قرية بعد أخرى، ومع تنامي نفوذهم في مدينة معينة، يفرضون تدريجياً قواعدهم على الحياة المدنية ويوظفون قوة منظمة من موظفي الخدمة المدنية - تتراوح بين جامعي فاتورة الكهرباء والمفتشين الصحيين - لإنفاذها. ويتفاوت مستوى وجود طالبان من مكان إلى آخر، ولكن حتى في المدن التي ظاهرياً تحت سيطرة الحكومة، مثل قندوز ولاشكار جاه، فإن طالبان الآن تجمع الضرائب وتحكم في النزاعات.

على عكس تنظيم (الدولة الإسلامية)، الذي حاول إنشاء بنية تحتية موازية جديدة في الأراضي التي استولى عليها، تفضّل طالبان ضم الخدمات الحكومية الحالية ومشاريع المساعدات. في مقابلة أجراها في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٧ عبر (واتس آب)، أوضح المتحدث باسم طالبان ذبيح الله مجاهد التناقض الواضح الذي ينطوي عليه العمل جنباً إلى جنب دولة تُقاتلها منظمته قائلاً: "هذا يتعلق بتلبية احتياجات الناس، إنه ليس جزءًا من الحرب".



لقد أدركت حركة طالبان بالطبع أنه لا توجد حاجة لمهاجمة مؤسسات وموارد الدولة إذا تمكنتَ بدلاً من ذلك من الاستيلاء على مواردها وإعادة توجيهها إلى أهدافك. وقد أصبحت هذه العملية أسهل بكثير بسبب شعور معظم الأفغان بالإحباط جراء الفساد المتفشي، الذي شل الخدمات العامة وجعل العثور على عمل أمراً صعباً للغاية. فيجب على ما يُقدر بنحو ٨٠ في المئة من معلمي الدولة دفع رشاوى للحصول على مناصبهم، وفقاً لبيانات رسمية صدرت في كابول أواخر العام الماضي. قال جمال، وهو مدرس سابق في مدرسة البنين الثانوية في مركز منطقة تشارخ: "لم يكن بوسع الحكومة فعل أي شيء في السنوات العشر الماضية.. "لقد نجحت طالبان في حل مشاكلنا على الفور".

جمال، الذي غُير اسمه لحمايته، كان مجرد مراهق عندما جاء التمرد إلى قريته في مقاطعة لوجار نحو عام ٢٠٠٧، وهرب من القتال لكنه كافح للعثور على وظيفة في مكان آخر، وقرر العودة بعد أن أكدت له عائلته أن الأمن قد استتب منذ أن سيطرت طالبان. زكّاه مديره بالمدرسة القديمة لدى طالبان، التي بدورها تحققت من خلفيته. وحالما اطمئنت أنه ليس جاسوسًا للحكومة، أظهر مسؤولو طالبان موافقتهم إلى شيوخ القرية الذين كانوا يعملون كوسيط بين طالبان والمسؤولين الحكوميين. وأبلغ الشيوخ مسؤولي وزارة التعليم الذين قاموا بتعيينه في منصبه.

على الرغم من أن جمال عمل في مدرسة حكومية وكانت وزارة التعليم تدفع راتبه، كان مسؤولو طالبان مسؤولين عن عمله وبيئته المحيطة. ويقوم المراقبون المعَينون من قِبل طالبان، وهم عادة من شيوخ القرى أو الملالي، بتوظيف الموظفين وتكليف مسؤولي المدارس بتثبيت رواتب المعلمين الغائبين. ويقومون أحيانًا بإزالة ما يعدونه محتوى غير مقبول من المناهج الدراسية – مثل كتاب ثقافي يعرض صوراً للشرطة النسائية – ويستبدلون بها نصوصاً دينية.

ويوجد نظام مماثل في العيادات والمستشفيات، حيث يظهر المراقبون المعَينون من قِبل طالبان بشكل عشوائي، لضمان وجود الأطباء وفحص مخزون الأدوية. قال فرهاد، مسؤول الصحة العامة في (پل علم) عاصمة إقليم لوجار: "لقد اتصل بي نظيري في حركة طالبان قائلاً: يجب أن يكون لديك طبيب جراح إضافي في هذه المنطقة، وجهاز أشعة سينية". وعندما سُئِلَ كيف كان يعلم بمثل هذه المطالب، قال فرهاد بواقعية: "إنهم يصدرون الأوامر، وعلينا أن نطيع.. قد لا نحب طريقة إدارتهم لكن على الأقل يمكننا القول إنها أقل فسادًا بكثير".

يحْجم المسؤولون في كابول عن الإقرار علناً بمفاوضات على الأرض مع حركة طالبان أو مناقشة ذلك، وهم يكررون في كثير من الأحيان التزامهم بتقديم الخدمات للأفغان بغض النظر عن جانب النزاع الذي قد يكونون فيه. وقال وحيد مجروه، المتحدث باسم وزارة الصحة العامة: "إن الأشخاص الذين يعيشون تحت سيطرة طالبان ليسوا بالضرورة من طالبان أنفسهم". "إن وزارة الصحة العامة ملتزمة بتوفير الخدمات الصحية لجميع الأفغان". في حين أن الوزارة ليس لديها سياسة رسمية بشأن ما إذا كان موظفوها ينبغي أن يتعاملوا مع طالبان أم لا، قال إنه في "حالات محددة يواجه العاملون بالصحة تحديات من المتمردين، فيحلون القضية من خلال شيوخ المجتمع. "

لا يمكن لأحد أن يقول على وجه اليقين كم من مساحة البلاد تديرها طالبان فالتقديرات الإقليمية متنازع عليها بشدة. تقدّر بعثة التدريب والدعم التي يقودها حلف الناتو، أن التمرد يؤثر أو يسيطر على ١٤ في المائة من مناطق البلاد، بينما تسيطر الحكومة على ٥٦ في المائة، ويخضع الباقي للتنازع. في المقابل، قدرت دراسة أجرتها هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) في يناير/كانون الثاني أن حركة طالبان "نشطة بشكل علني" في ٧٠ ٪ من مقاطعات البلاد.

من الصعب تصور مصطلحات مثل "التأثير" و"نشطة بشكل علني". إن استراتيجية طالبان ترفض مفاهيم السيطرة الصفرية، توضح الخريطة الدقيقة لنفوذ طالبان حصارها لأغلب مراكز المدن والأقاليم الرئيسية، قيادة السيارة لمدة ساعة في أي تجاه من كابول تنقلك في مناطق طالبان، ربما لا يكون هناك علم يرفرف لطالبان، لكن الجميع يعرف من هو المسؤول، طالبان تضع القواعد وتنفذها، يجمعون الضرائب، ويحددون مقدار الحضور الذي تستطيع الحكومة الاحتفاظ به.

خلال زيادتها عدد الجنود، ركزت القوات الدولية على استراتيجية "بقعة الحبر": السيطرة على مراكز الأقاليم، واستهداف كسب قلوب وعقول الأفغان من خلال تقديم المساعدات والخدمات، بعد ذلك ينتشر تأثير الحكومة إلى الخارج للتواصل مع المناطق الأخرى التي تسيطر عليها الدولة، على أمل أنه إذا تمكنت الحكومة من ربط ما يكفي من هذه المناطق، أن تجمع الدعم الكافي لتحويل الموجة ضد طالبان. ولكن مع تخفيض عدد القوات الدولية حدث العكس، أصبحت بقع الحبر أصغر وأقل اتصالاً، لقد تخلت الولايات المتحدة عن مكافحة التمرد، بينما الآن تقيم طالبان الحكم الرشيد لكسب الدعم المدني.



يدّعي مسؤولو طالبان الذين تحدثت إليهم مؤخراً أنهم لا يسعون إلى تحقيق نصر تام، بل اتفاق سلام، ويبدو أن أسلوبهم في الحكم يؤيد هذا الادعاء، تقدم مقاطعة هلمند في جنوب غرب أفغانستان أفضل مثال على كيفية سير هذه العملية، تقدر الحكومة الأفغانية الآن أن طالبان تسيطر على ٨٥ في المائة من هلمند، ويشير السكان المحليون إلى مدينة (موسى كالا) الشمالية بصفتها عاصمة طالبان. كما هو الحال في أي مكان آخر، يعتمد حكم طالبان على التعاون مع الحكومة الأفغانية.

وخلال زيارة إلى عاصمة إقليم لاشكار جاه، عرض حياة الله حياة، الحاكم السابق لهلمند، ملفاً مليئاً برسائل من مسؤولي طالبان، طلب العديد منهم من الحكومة توفير العيادات والمشاريع التنموية، وقد أنكر "حياة" قدرة طالبان على الحكم قائلاً: "يمكنهم السيطرة على هذه المناطق من خلال العنف، لكنهم لا يستطيعون توفير حكومة حقيقية، ليس لديهم قدرة ولا رؤية، يعرف الأفغان أن الحكومة هي التي توفر هذه الأشياء حقيقةً".

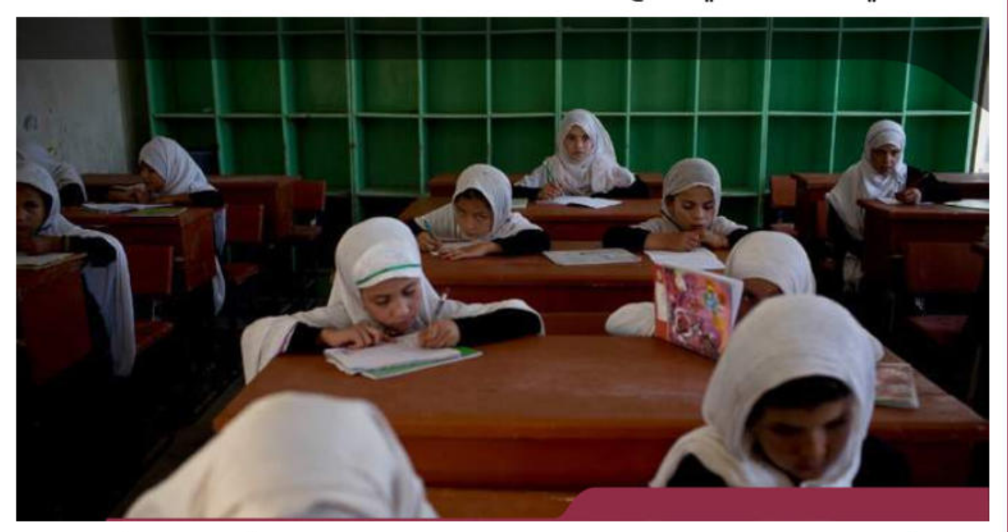
التعاون بيروقراطي بامتياز في هلمند. ففي فبراير/شباط الماضي، وقع ممثلون عن لجنة التعليم التابعة لحركة طالبان، وإدارة التعليم في المقاطعات الحكومية، مذكرة تفاهم مكونة من ١٠ نقاط، تحدد مسؤوليات كل منهما فيما يتعلق بتوفير التعليم. ظهرت على موقع (تويتر) مجموعة من الصور التُقطت خلال التوقيع، أعضاء طالبان بالعمامة السوداء، وجوههم مغطاة جزئياً، يجلسون القرفصاء إلى جانب نظرائهم الحكوميين.

ذكر الاتفاق أن جميع المدارس هي ممتلكات حكومية، لكن مسؤولية الطالبان تكمن في حماية المدارس وموظفيها، وتعهد الجانبان على العمل معاً لإعادة فتح المدارس التي أغلقت بسبب القتال في السنوات السابقة، وبحسب داود شاه شرفي، مدير التعليم الإقليمي في الحكومة المركزية، فقد أعيد منذ توقيع الاتفاقية فتح ٣٣ مدرسة أو أكثر من خُمس المدارس التي أغلقت. ودافع شرفي عن الاتفاق الذي انتقدته أجهزة الأمن الأفغانية نقداً لاذعاً، وقال: "**بالطبع تستخدم طالبان هذه الاتفاقية كدعاية لإظهار مدى ضعف الحكومة.. ولكن هل من الأفضل أن يذهب الأطفال إلى المدرسة؟ أم لا تكون ثمة مدرسة ولا يكون أمامهم إلا الالتحاق بطالبان؟**".

كان لدى أعضاء طالبان المحليين صورة مختلفة، فقد قال مسؤول مالي في طالبان: "انتقد الناس طالبان لعدم فاعليتها في التسعينيات، فلم يكن لدينا هذا الكم من المساعدات عندما كنا في الحكم.. انظر إلى ما يمكننا القيام به بكل هذا الدعم الدولي إذا وضعتنا في موقع المسؤولية".

بالنسبة لكثيرين، فإن فكرة عودة طالبان إلى السلطة مرعبة. لقد غيرت حركة طالبان بعض المواقف السياسية، لكن العديد من القوانين القديمة قد أعيدت إلى سابق عهدها،

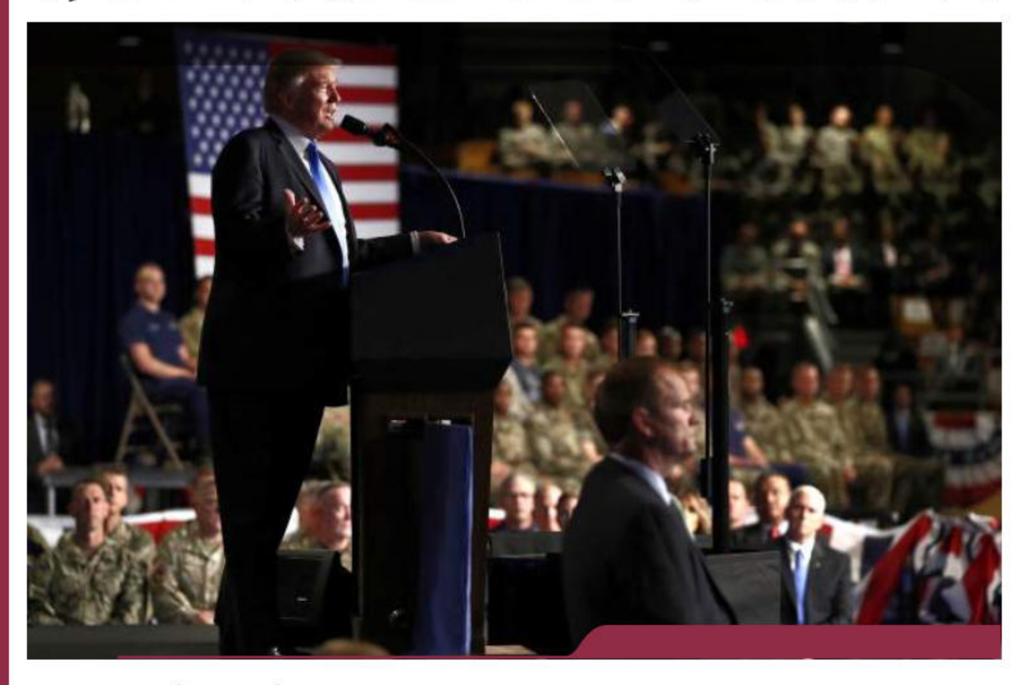
فبينما تقول حركة طالبان الآن إنها لا تعارض تعليم الفتيات أو النساء اللواتي يعملن في قطاعات معينة، فالحقيقة أن في المناطق التي تسيطر عليها الحركة لا تذهب الفتيات إلى المدرسة بعد البلوغ ولا تستطيع مغادرة المنزل بدون مرافق ذكَر. يجب على الرجال أن يطلقوا لحاهم، وأن يتجنبوا ارتداء الملابس العصرية، وعليهم الصلاة في المسجد، وتحظر الهواتف الذكية وأجهزة التلفزيون بشكل رسمي، وعلى الرغم من أن هذه القوانين غالبًا ما يُستخف بها، إلا أن ضبط فاعليها يؤدي إلى معاقبتهم بالضرب. ويُعدم المدانون بالتجسس لصالح الحكومة، ويعيش العديد من المواطنين في خوف دائم؛ الأفغان الذين لديهم القدرة يغادرون إلى المدن القريبة حيث لا تزال قوانين الحكومة مسيطرة، ومع ذلك لا يشعرون بالأمان، بسبب هجمات طالبان التي لا حصر لها في جميع أنحاء البلاد [٣] .



إلى أي درجة تفوز طالبان بالدعم الشعبي؟ الجواب ليس واضحًا، بالتأكيد بعض الأفغان في المناطق الريفية يقدمون دعماً نشطاً للتمرد؛ وتعتمد الحركة بشكل كبير على المدنيين للحصول على الطعام والمأوى. لقد أُنهك معظم الأفغان من الحرب، وهم محبطون ومشمئزون من الوحشية التي لا تنتهي وتُرتكب من جميع الأطراف، فهم لا يرون الحكومة الحالية أو طالبان خيارًا مثاليًا، ولكن عقودًا من الاضطرابات والفوضى قد علمتهم أن تفضيلاتهم لا تعني شيئًا يُذكر. "نحن نستسلم للموجود، عندما جاء المجاهدون استسلمنا، وعندما جاءت الحكومة استسلمنا". وقال مدرس آخر من لوجار: "إذا جاءت طالبان فإننا نستسلم.. هذه هي الطريقة التي تبقينا على قيد الحياة."

(٣) سبق التنبيه على كذب مثل هذه الادعاءات في التعليق السابق، فارجع إليه. والغرض منها تصوير طالبان أنها حركة يلفظها الشعب، وهو زعم ساذج للغاية؛ إذ لا يمكن أن تستمر قوة محلية بهذه الشراسة منذ سبعة عشر عاماً دون غطاء وتأييد وحاضنة شعبية كبيرة. وهو ما شهدت به الكاتبة نفسها حين قالت فيما يأتي بعد قليل عن طالبان إنها "تمرد متشابك بشدة مع السكان" .[المترجم].

في أغسطس/آب ٢٠١٧ ، أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن استراتيجية جديدة لأفغانستان، وتعهد "بالمحاربة والفوز". كانت الاستراتيجية تعتمد بكثافة على القوة الجوية وتولي أهمية أقل للدبلوماسية، هي في النهاية غير ملائمة لمحاربة تمرد متشابك بشدة مع السكان، بلغت الإصابات المدنية جراء الغارات الجوية أعلى مستوى لها عام ٢٠١٧ . فقد أسقطت الولايات المتحدة المزيد من القنابل في ذلك العام مع وجود ١٤٠٠٠ جندي على الأرض، أكثر مما أسقطت في عام ٢٠١٢ مع وجود ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ جندي. ونادراً ما أتبعت الضربات الجوية بمحاولات فرض سيطرة الحكومة، تاركة معظم الأفغان يتساءلون عن غاية هذه الضربات إذن.



محاولات إصلاح الحكومة قد فشلت، وهي التي كان يعول عليها أن تعالج أسباب السخط الذي يعطي طالبان النفوذ، وهذه المحاولات للإصلاح هي الآن جزء هامشي من استراتيجية الولايات المتحدة، وكما أكد تقرير صدر مؤخراً عن المفتش العام الأمريكي المختص بإعادة إعمار أفغانستان، فشل الاستقرار إلى حد كبير، كما أن الولايات المتحدة "بالغت في تقدير قدرتها على بناء وإصلاح المؤسسات الحكومية". وتبقى حكومة الوحدة الوطنية ائتلافاً هشاً مشلولاً تقريباً، بسبب الفساد والاقتتال الداخلي، وكان الخبر الإيجابي الوحيد الذي تلقته الحكومة مؤخراً هو تنظيم وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أيام مع حركة طالبان خلال عطلة عيد الفطر في يونيو/حزيران.

في يوليو، أظهرت تقارير أن إدارة ترامب تخلت عن آمالها في قلب موجة الحرب، وتحث الولايات المتحدة الآن القوات الأفغانية على مزيد من التراجع عن المناطق الريفية، وبدلاً من ذلك تركز مواردها المحدودة على حماية المراكز الحضرية. وتعثرت مهمة بناء قوات الأمن الأفغانية، إذ أفاد مكتب المفتش العام أن حجم القوة تقلص بنحو ٥ في المائة خلال العام الماضي.

وهناك أيضاً مؤشرات على أن واشنطن منفتحة على إجراء محادثات سياسية ثنائية مباشرة مع طالبان، وهي أحد المطالب القديمة للمتمردين، في أواخر يوليو زعم مسؤولو طالبان أنهم التقوا مع أليس ويلز، أكبر دبلوماسيي البيت الأبيض في جنوب ووسط آسيا، وهو الأمر الذي لم تؤكده وزارة الخارجية أو تنكره.



المحادثات المباشرة هي الطريقة الوحيدة لإنهاء الحرب الأمريكية الأطول، ولكنها ستكون عملية طويلة ومرهقة. إن إجراءات بناء الثقة، مثل وقف إطلاق النار في العيد، مهمة، ولكن لا بد من القيام بالعديد من الأمور، من إنشاء آلية للمحادثات الرسمية، لإطلاق مبادرات بناء السلام المحلية، التي ستبني قاعدة للتسوية السياسية المستدامة. ومع ذلك، لا تزال هناك أسئلة صعبة بشأن مستقبل أفغانستان، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالحكم الديمقراطي وحقوق الإنسان. ففي حين يناقش الدبلوماسيون والخبراء ما يمكن أن تبدو عليه صفقة تقاسم السلطة مع طالبان، فالحكومة المختلطة تستولي بالفعل على أجزاء كبيرة من البلاد.



العدد الخامس عشر ، أكتوبر ٢٠١٨ | كلمة حق

www.klmtuhaq.blog

المشرف العام

محمد إلهامي

مدير التحرير

حامد عبدالعظيم